

هداية الخليل
الى سواء السبيل
مصطفى مرتضى
دار المعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0090796

هداية الخليل الى سواء السبيل

مصطفى مرتضى

هداية الخليل
الى سواء السبيل

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالميـن ، والصلاة والسلام على سيد النبيين ـ محمد ـ وآله الطاهرين ·

(وبعد) فهـذه نكات جمعتهـا ، ولطائـف اخترتها ، ارجو بها النجاة يوم الدين ، اذا كانت نافعة للمؤمنين · واسميتها : (هداية الخليل الى سواء السبيل) وبالله استعين · قال بعض العارفين :

لايكن تأخير العطاء ـ مع الالحاح في الدعاء ـ موجبا لياسك ، فهـو ضمن لك الاجابـة فيما يختاره لك ، لا فيما تختاره انت لنفسك ·· وفي الوقت الذي يريده ، لا في الوقت الذي تريده ·

وذلك : لان الله تعالى حكيم ، وكل افعاله انما هي وفق المصلحـة ·· اعني مصلحة العبد فيما يعود نفعه عليه ، ويبتعد ضرره عنه ، او المصلحة

فيما يتعلق بالغير ·

اما فيما يتعلق بالعبد ـ فههنا وجوه :
منها ـ انه ربما اعجبت العبد نفسه لسرعة اجابة دعائه ، فيدل بذلك ، ويشمخ ، ويتعالى على الناس ، وهذه الحال محبطة للاعمال ، وقائدة الى الضلال وموجبة للنكال ·

وقد ورد في الرواية : ان رجلين ـ دخلا المسجد ـ احدهما عابد والآخر فاسق · فخرجا من المسجد والعابد فاسق والفاسق صديق ·· وذلك : ان العابد دخل المسجد وهو مدل بعبادته ، معجب بنفسه ، لا يرى احدا خيرا منه ؟ فصدق عليه مفهوم الآية الشريفة : (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) (١) ·

واما الفاسق : فهو يبكي على خطيئته ، ويستغفر لذنبه ، ويتضرع الى الله تعالى في حط الوزر عنه ؟ فحق على الله ان يشمله بعفوه ، وينظر اليه برحمته ، كما قال : (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) (٢) ·

---

(١) الكهف ١٠٤ ··
(٢) طه ٨٢ ··

ومنها ـ اننا لا نستطيع العلم بما يضر وينفع ، وكثيرا ما نتخيل الشيء ـ نحبه ـ فاذا ما حصلنا عليه حصل علينا منه الضرر العظيم ، والبلاء الفادح ، ففزعنا الى الندم ، ولا فائدة في الندم •

ولكن الله عالم بكل ذلك ؟ وانما يؤخر الاجابة لمصلحة العبد ، ويجعلها لمصلحته ـ ايضا ـ اذا كانت المصلحة في التعجيل •

ومنها ـ ان هذا العبد قد يكون ممقوتا عند الله ولا يحب ان يسمع صوته ؟ فيعجل اجابته •

واما فيما يتعلق بالغير ـ فمثاله : حديث يونس عليه السلام وطلبه اهلاك قومه ، وكانت المصلحة التأني في ذلك ، لانه سبق في علم الله انهم سيؤمنون •

وكحديث موسى وهارون عليهما السلام ، ودعائهما على فرعون وقومه ، فقد ورد ان المدة بين قول الله تعالى لهما : (قد اجيبت دعوتكما) (١) وبين هلاك فرعون وقومه كانت خمسين

---

(١) يونس ٨٩ ••

سنة ·· وما ذلك الا لاقامة الحجة وتأكيد الدليل ، وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء ·

وعن امير المؤمنين عليه السلام : احب الاعمال الى الله سبحانه في الارض الدعاء ، وافضل العبادة العفاف ·

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الا ادلكم على سلاح ينجيكم من عدوكم ويدر ارزاقكم ، قالوا : بلى ، قال : تدعون ربكم بالليل والنهار ، فان الدعاء سلاح المؤمنين ·

وعنه صلى الله عليه وآله : الدعاء سلاح المؤمنين ، وعمود الدين ، ونور السماوات والارضين ·

وعن الصادق عليه السلام : ان الدعاء يرد القضاء المبرم بعدما ابرم ابراما ، فاكثر من الدعاء ؟ فانه مفتاح كل رحمة ، ونجاح كل حاجة ، ولا ينال ما عند الله الا بالدعاء ، فانه ليس من باب يكثر قرعه الا اوشك ان يفتح لصاحبه ·

وعنه عليه السلام : ما ابرز عبد يده الى الله العزيز الجبار الا استحيا الله عز وجل ان

يردها صفرا حتى يحصل فيها من فضل رحمته ، فاذا دعا احدكم فلا يرد يده حتى يمسح بها على وجهه ورأسه ٠

ومن كلامهم : لا تتعد همتك الى غيره ، فالكريم المطلق لا تتخطاه الآمال ٠

وقال الله تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (١) معناه : من فوض اموره الى الله ، ووثق بحسن تدبيره وتقديره فهو كافيه ، بكفيه امر دنياه ، ويعطيه ثواب الجنة بحيث لا يحتاج الى غيره ٠

وعن الصادق عليه السلام : اذا اراد احدكم ان لا يسأل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكون له رجاء الامل من عند الله ، فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئا الا اعطاه ٠

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اوحى الله الى بعض انبيائه في بعض وحيه : وعزتي وجلالي لاقطعن امل كل آمل امل غيري

---

(١) الطلاق ٠٠

بالاياس، ولاكسونه ثوب المذلة في الناس، ولابعدنه من فرجي وفضلي ، اعبدي يأمل في الشدائد غيري والشدائد بيدي ، ويرجو سواي وانا الغني الجواد ، بيدي مفاتيح الابواب وهي المغلقة ، وبابي مفتوح لمن دعاني · الم تعلموا ان من دهته نائبة لم يملك كشفها عنه غيري · فما لي اراه معرضا عني وقد اعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني ، فاعرض عني ولم يسألني وسأل في نائبته غيري ، وانا الله ابتدىء بالمعطية قبل المسألة ، افأسأل فلا اجود ، كلا ، ليس الجود والكرم لي ، أليس الدنيا والآخرة بيدي ، فلو ان اهل سبع سماوات وارضين سألوني جميعا واعطيت كل واحد منهم مسألة ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح البعوضة وكيف ينقص ملك انا قيمه ، فيابؤسا لمن عصاني ولم يراقبني ·

وعنه صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني الا قطعت اسباب السماوات واسباب الارض دونه ؟ فان سألني لم اعطه ، وان دعاني لم اجبه ، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي الا ضمنت السماوات والارض رزقه ، فان سألني اعطيته ، وان

استغفرني غفرت له ٠

وفي الصحيفة : تمدحت بالغنى خلقك وانت اهل الغنى عنهم ، ونسبتهم الى الفقر وهم اهل الفقر اليك ، فمن حاول سد خلته من عندك ، اورام صرف الفقر عن نفسه بك ، فقد طلب حاجته في مظانها ، واتى طلبته من وجهها ، ومن توجه بحاجته الى احد من خلقك ، او جعله سبب نجحها دونك ، فقد تعرض للحرمان ، واستحق من عندك فوت الاحسان، اللهمولي اليكحاجة قد قصر عنها جهدي وتقطعت دونها حيلي ، وسولت لي نفسي رفعها الى من يرفع حوائجه اليك ، ولا يستغني في طلباتها عنك ، وهي زلة من زلل الخاطئين ، وعثرة من عثرات المذنبين ، ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي ، ونهضت بتوفيقك من زلتي ، ورجعت ، ونكصت بتسديدك من عثرتي ، وقلت : سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجا ، واني يرغب معدم الى معدم ، فقصدتك يا الهي بالرغبة ، واوفدت عليك رجائي بالثقة بك ، وعلمت ان كثير ما اسألك يسير في وجدك ، وان خطير ما استوهبك حقير في وسعك ، وان كرمك لا يضيق عن سؤال احد ، وان يدك بالعطايا اعلى من كل يد ٠

واعلم – ان للدعاء اركانا ، واجنحة ، واسبابا ، واوقاتا ، فان وافق اركانه قوي ، وان وافق اجنحته طار الى السماء ، وان وافق مواقيته فاز ، وان وافق اسبابه انجح ·

فأركانه : اخلاص النية ، وحضور القلب ، والاستكانة ، والخشوع ، وتعلق القلب بالله ، وقطعه عن الاسباب · واجنحته : الصدق ، والالحاح ، وحسن الظن بالله · ومواقيته : الاسحار ، وليلة الجمعة ، ويومها ، وعند نزول القطر · واسبابه : الصلاة على رسول الله واهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين ·

ومن كلامهم : من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا ، اذ ليس التواضع الا عن رفعة ، فمتى اثبت لنفسك تواضعا فأنت من المتكبرين ·

فان من يقول تواضعت ·· هو في قوة قول من يقول : انني في اعلى المنازل ، ولكني انحدرت عنه وجعلت نفسي في مقام لا يليق بها · وهذا هو التكبر بعينه ·

ولقد قال بعض العرفاء : ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ، ولكن

المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع ٠

قلت : ولا يليق بمن خلق من التراب ان يتكبر ٠ وما هو التراب ٠٠ التراب : هو المادة الوضيعة ، التي تطأ بالاقدام ، وتوضع عليها القاذورات ، وانت في الوقت نفسه تأكل مما ينبته هذا التراب ، ثم انت بعد ذلك عائد اليه ليستر سواتك ، ثم تأكلك الديدان والحشرات بعد ذلك ، فأنى يليق بك الكبر ٠

وهل يليق بك الكبر واولك نطفة ، وقد خرجت من مخرج البول مرتين ، وآخرك جيفة قذرة ينفر عنك اذا ما صرت اليها احب الناس لك ، واعزهم عليك ، حتى اهلك وذووك ومن ولدك ومن ولدته ، وانت فيما بين هاتين الحالتين وعاء للبول والعذرة ، تحملهما بين جنبيك داخل احشائك ، ثم تتقذر منهما اذا خرجا منك ، فأين انت عن معرفة نفسك ، رحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده ٠

وقد روى عن الباقر عليه السلام انه قال : الكبر رداء الله ، والمتكبر ينازع الله رداءه ٠

فما ظنك بمن ينازع الله رداءه ، وينتحل ما ليس له ، وقد نهى النبي عن تمني الفضل الذي يتصف به الناس ، قال تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) (١) فكيف بمن يدعي مقاما هو لله تعالى شأنه ٠

وعن الصادق عليه السلام : ان المتكبرين يجعلون في صور الذر ، يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب ٠

وعنه عليه السلام : ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له : سقر ، شكا الى الله شدة حره ، وسأله ان يأذن له ان يتنفس ، فتنفس فاحرق جهنم ٠

وعنه عليه السلام : ما من عبد الا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها ، فاذا تكبر قال له : اتضع ؟ وضعك الله ، فلا يزال اعظم الناس في نفسه واصغر الناس في اعين الناس ٠ واذا تواضع رفعه الله عز وجل ، ثم قال له : انتعش ؟ نعشك الله ، فلا يزال اصغر الناس في نفسه وارفع الناس في اعين الناس ٠

---

(١) النساء ٣٢ ٠٠

قلت : والحكمة ـ بالتحريك ـ اللجام ، او هي ما احاط بحنكي الفرس لجامه ، وفيها العذاران ·

وعنه عليه السلام : ما من رجل تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه ·

ولله درمن قال :

ان التواضع من صفات المتقي
وبه التقي الى المعالي يرتقي
والكبرياء لربنا صفة له
مخصوصة فتجنبها واتق
ومن العجائب عجب من هو جاهل
في حالة اهو السعيد ام الشقي

وقال بعضهم : اذا ما اردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر اليه، (انما الصدقات للفقراء) (١) ·

وقد نظمت هذه الجملة شعر فقلت :

اذا ما اردت العلى والغنى
وان يسبغ الله نعمى عليك

---

(١) التوبة ٦٠ ··

فلـذ بالذى خلـق الكائنـات
وكـن داعيـا باسطا راحتيـك
بـكل خضـوع وكل انكسـار
لينظـر بالجـود منـه اليـك
ففي قوله : انمـا الصدقـات
كتـاب يقـام ويتلـى عليـك

وعن ابي حميد الوابشي عن ابي جعفر عليه السلام ، قال : قلت له : ان لنا جارا ينتهك المحارم كلها ، حتى انه ليترك الصلاة فضلا عن غيرها ـ واعظم ذلك ـ الا اخبركم بشر منه ؟ قلت : بلى ، قال : الناصب لنا شر منه ، اما انه ليس من عبد يذكر عنده اهل البيت فيرق لذكرنا الا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها ، الا ان يجيء بذنب يخرجه من الايمان ، وان الشفاعة لمقبولة ، وما تقبل في ناصب ، وان المؤمن ليشفع في جاره وماله حسنة ، فيقول : يا رب جاري كان يكف عني الاذى ، فيشفع فيـه ، فيقول الله تبـارك وتعالى : انا ربك ، وانا احق من كافأ عنـك ، فيدخله الجنة وماله من حسنة ، وان ادنى المؤمنين ليشفع لثلاثين انسانا ؟ فعند ذلك يقول اهل النار : (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) (١) ٠

(١) الشعراء ١٠٠/١٠١ ٠٠

واعلم ان الشفاعة ـ على ما نقله بعضهم ـ خمس : الاولى ـ لتعجيل الثواب . الثانية ـ للادخال في الجنة بغير حساب . الثالثة ـ لمنع قوم من النار بعد ان استوجبوها . الرابعة ـ لاخراج العاصي من النار . الخامسة ـ لرفع الدرجات .

والظاهر من رواياتنا : انه يجوز للمؤمن الشفاعة في جميع تلك المراتب . ولا دلالة في آخر الحديث على تخصيصها في القسم الرابع كما ذكره بعضهم . وقال بعض العامة : الاوليان خاصتان بالنبي (ص) .

وكان بعض العارفين يكثر الخلوات ، فقيل له : اما تستوحش لمفارقة الاهل والجماعات ، فقال : انا جليس ربي ، ان احببت ان يحدثني تلوت كتابه ، واذا احببت ان احدثه دعوته وكررت خطابه .

قال الاصمعي : وقف علينا اعرابي ـ ونحن في رملة اللوى ـ وقال : رحم الله امرءا لم تمجج اذناه كلامي ، واعتبر من سوء مقامي ، ان البلاد مجدبة ، والحال مسبغة ، والحياء زاجر يمنع من كلامهم ، والفقر عاذر يدعو الى اعلامكم ، فرحم

الله امرءا امر بمير ، او دعا بخير ، فقلت : ممن انت يرحمك اللـه ؟ فقال : ان سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب ٠

وقال بعض الحكماء : اذا اردت معرفة ربك ، وتنور بمعرفته قلبك؟ فاضطرب بينك وبين المعاصي نجاسات معنوية ، ملوثة للعبد ، مظلمة للنفس ، مكدرة للقلب ، مانعـة ـ بسبب كثافتهـا ـ من افاضة الانوار الباعثة على فعل الخيرات والميل اليهـا ٠

وعن الباقر عليه السلام : ما من شيء افسد للقلب من خطيئة ، ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله ٠

قال المجلسي رحمه الله : ان قلت : ما يفسد القلب فهو خطيئة فما معنى التفضيل ؟ قلت : لا نسلم ذلك ؟ فان كثيرا من المباحات تفسد القلب ، بل بعض الامراض والآلام والاحزان والهموم ، والوساوس ايضا تفسدها وان لمتكن مما تستحق عليه العذاب ، وهي اعم من الخطايا الظاهرة ؟ اذ للظاهر تأثير في الباطن ، ومن الخطايا القلبية كالعقائد الفاسدة بالمعصية والصفات الذميمـة

كالحقد والحسد والعجب وامثالها · وقال بعض المحققين : ان التوبة واجبة في كل الاوقات على جميع الاشخاص ، وذلك ان الانسان لا يخلو عن اتباع الشهوات ، وكل شهوة ـ فعلها الانسان ـ يرتفع منها ظلمة الى القلب كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة ، فاذا تراكمت الشهوات صارت رينا ، كما قال تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (١) واذا تراكم الرين صار طبعا على القلب ، كالخبث على وجه المرآة ، ولا يكفي في ازالة تلك الشهوات تركها في المستقبل ، بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب ، كما لا يكفي في ظهور الصورة في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار ، وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات ، كذلك يرتفع اليه نور من الطاعات ؟ فتمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة ، واليه اشار بقوله : اتبع السيئة الحسنة تمحها ، وقوله تعالى : (ان الحسنات يذهبن السيئات) (١) ·

....

(١) المطففين ١٤ ··

(١) هود ١١٤ ··

واعلم ـ ان العبد لا يستغني في حال من الاحوال عن محو آثار السيئات والشهوات عن قلبه بمباشرة حسنات تضادها ، وهذا ليس من باب الواجب الشرعي ، بل هو وجوب شرطي ، بمعنى انه لا يمكن التوصل الى درجات المقربين الا به ، ونظرا الى هذا رفض الاولياء ملاذ الدنيا بالكلية ٠ وقال ابو سليمان الداراني : لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان حقيقا ان يجره ذلك الى الممات ، فكيف بمن يشتغل فيما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله ٠

وذلك ان العاقل اذا ضاعت منه جوهرة نفسية بكى على ضياعها ، فان صار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه اشد ، وكل ساعة من العمر جوهرة نفسية ، لا قيمة لها ولا بدل عنها ، فان اضيعها في الغفلة فقد خسر خسرانا مبينا ٠ وقيل : ان سليمان رآى عصفورا يقول لعصفورة : لم تمنعين نفسك مني ، ولو شئت لاخذت قبلة سليمان بمنقاري ٠ فالقيتها في البحر ، فتبسم سليمان من كلامه ، ثم دعا بهما ، وقال للعصفور: اتطيق ان تفعل ذلك ؟ فقال : يا رسول الله لا ،

ولكن المرء قد يزين نفسه ، ويعظمها عند زوجته ، والمحب لا يلام على ما يقول ، فقال سليمان للعصفورة : لم تمنعينه من نفسك وهو يحبك ، فقالت : يا نبي الله انه ليس محبا ، ولكنه مدع ، لانه يحب معي غيري ، فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاء شديدا ، واحتجب عن الناس اربعين يوما يدعو الله ان يفرغ قلبه لمحبته ، وان لا يخالط تلك المحبة بمحبة غيره ٠

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان غده شرا من يومه فهو ملعون ، ومن ثم يتفقد النقصان في عمله كان النقصان في عقله ، من كان النقصان في عقله فالموت خير له من حياته ٠

وقال رجل لابي ذر : يا صاحب رسول الله اتحفنا بشيء من العلم ، فقال ابو ذر : يا طالب العلم ان العلم لكثير ، ولكن اذا استطعت ان لا تسيء الى من تحبه فافعل ، قال الرجل : يا أبا ذر وهل يسيء الرجل الى من يحبه ؟ فقال : نعم ، نفسك احب الا نفس اليك ، فان عصيت الله فقد اسأت اليها ٠

وعن الباقر عليه السلام قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بنا ذات يوم ـ ونحن في نادينا ـ وهو على ناقته ، وذلك حين رجع من حجة الوداع ، فوقف علينا ؟ فسلم ؟ فرددنا عليه السلام ، ثم قال : ما لي ارى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس ، حتى كان الموت ـ في هذه الدنيا ـ على غيرهم كتب ، وحتى كان لم يسمعوا ولم يروا من خبر الاموات قبلهم ، سبيلهم سبيل قوم سفر عما قليل اليهم راجعون ، بيوتهم اجداثهم ، ويأكلون تراثهم ، فيظنون ، انهم مخلدون ، بعدهم ، هيهات هيهات ، اما يتعظ آخرهم بأولهم ، لقد جهلوا ، ونسوا كل واعظ في كتاب الله ، وآمنوا شر كل عاقبة سوء ، ولم يخالفوا نزول فادحة ، وبوائق حادثة طوبى لمن شغله خوف الله عز وجل عن خوف الناس • طوبى لمن تواضع لله عز ذكره ، وزهد فيما احل الله له ، من غير رغبة عن سيرتي ، ورفض ، زهرة الدنيا ، من غير تحول عن سنتي ، واتبع الاخيار من عترتي من بعدي ، وجانب اهل الخيلاء والتفاخر والرغبة في الدنيا ، المبتدعين خلاف سنتي ، العاملين بغير سيرتي • طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالا من غير معصية ،

فانفقه في غير معصية ، وعاد على اهل المسكنة • طوبى لمن حسن مع الناس خلقه ، وبذل لهم معونته ، وعدا عنهم شره • طوبى لمن انفق القصد ، وبذل الفضل ، وامسك قوله عن الفضول وقبيح الفعل •

وقال بعض الحكماء : ان احق الناس ان يتمنى الغنى للناس اهل البخل ؟ لان الناس اذا استغنوا كفوا عن اموالهم ، وان احق الناس ان يتمنى صلاح الناس اهل العيوب ؟ لان الناس اذا صلحوا كفوا عن تتبع عيوبهم ، وان احق الناس ان يتمنى حلم الناس اهل السفه ؟ الذين يحتاجون ان يعفى عن سفههم • فأصبح اهل البخل يتمنون فقر الناس ، وأصبح اهل العيوب يتمنون فسقهم، وأصبح اهل الذنوب يتمنون سفههم • وفي الفقر الحاجة الى البخيل ، وفي الفساد طلب عورة اهل العيوب ، وفي السفه المكافأة بالذنوب •

وقيل لبعض الحكماء : ما الصديق ؟ فقال : هو بعض اسماء العنقاء ، وهو اسم على غير معنى ، وحيوان غير موجود • وقال ابو عبيدة : ارتجل علي بن ابي طالب تسع كلمات ، قطعت اطماع البلغاء عن واحدة منها : ثلاث في المناجاة

وثلاث في العلم وثلاث في الادب · فأما التي في المناجاة ـ فقوله : كفاني عزا ان تكون لي ربا ، وكفاني فخرا ان أكون لك عبـدا ، انت لي كما احب فوفقني لما تحب ·

واما التي في العلم ـ فقوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، ما ضاع امرؤ عرف قدره ، تكلموا تعرفوا · واما التي في الادب ـ فقوله : انعـم على من شئت تكن اميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن اسيره · وقيل : ينبغي للرجل ان ينظر الى وجهه في المرآة على كل يوم ؟ فان رآه حسنا فلا يشنه بقبيح ، وان رآه قبيحا فلا يجمع بين قبيحين ·

وقد نظمه بعضهم شعرا فقال :

يا حسن الوجـه توق الخنـــا
لاتبـــد لـن الزيـن بالشيـن

وياقبيح الوجـه كـن محسنـــا
لا تجمعـــن بيـــن قبيحيـــن

ومن كلام للصادق في خلق الانسان وتركيبه ، قال عليه السلام : عرفان المرء نفسه : ان يعرفها بأربع طبائع ، واربعة دعائم ، واربعة اركان ،

فطبائعه : الدم والمرة والريح والبلغم ، ودعائمه : العقل ، ومن العقل الفهم والفطنة والحفظ والعلم، واركانه : النور والنار والروح والماء · وصورته: طينته · فأبصر بالنور ، واكل وأشرب بالنـــار ، وجامـــع وتحـــرك بالروح ، ووجد طعـــم الذوق والطعام بالماء ، فهذا تأسيس صورته · فلذا كان تأييد عقله من النور كان عالما حافظا ذكيا فطنا فهما ، وعرف فيما هو ، ومن اين يأتيه ، ولأي شيء هو ههنا ، والى ما هو صائر ، باخلاص الوحدانية والاقرار بالطاعة · وقد تجري فيـــه النفس وهي حارة ، وتجري فيه وهي باردة ، فاذا حلت به الحرارة اشر وبطر وارتاح وقتل وسرق وبهج واستبشر وفجر وزنا وبذخ ·

واذا كانت باردة اهتم وحزن واستكان وذبل ونسي · فهي العوارض التي يكون منها الاسقام ·

ولا يكون اقل ذلك الا بخطيئة عملها ، فيوافق ذلك من مأكل او مشرب في حد ساعات لا تكون تلك الساعة موافقة لذلك المأكل والمشرب ـ لحال الخطيئة ـ فيستوجب الالم من الوان الاسقام ·

ثم قال عليه السلام بعد ذلك بكلام آخر :

انما صار الانسان يأكل ويشرب ويعمل بالنار ، ويسمع ويشم بالريح ، ويجد لذة الطعام والشراب بالماء ، ويتحرك بالروح ·

فلولا ان النار في معدته لما هضمت الطعام والشراب في جوفه ، ولولا الريح ما التهبت نار المعدة ، ولا خرج الثقل من بطنه ، ولولا الروح ما جاء ولا ذهب · ولولا برد الماء لا حرقته نار المعدة · ولولا النور ما ابصر ولا عقل · والطين صورته · والعظام في جسده بمنزلة الشجر في الارض · والشعر في جسده بمنزلة الحشيش في الارض · والعصب في جسده بمنزلة اللحاء على الشجر · والدم في جسده بمنزلة الماء في الارض ·

ولا قوام للارض الا بالماء ولا قوام لجسد الانسان الا بالدم · والمخ دسم الدم وزبده ·

فهكذا الانسان ؟ خلق من شأن الدنيا والآخرة ، فاذا اجمع الله بينهما صارت حياته في الارض ، لانه نزل من شأن السماء الى الدنيا ، فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت ؟ يرد شأن الآخرة الى السماء ·

فالحياة في الارض والموت في السماء ،

وذلك انه يفرق بين الروح والجسد ، فردت الروح والنور الى القدرة الاولى ، وترك الجسد لانه من شأن الدنيا ، وانما فسد الجسد في الدنيا لان الريح تنشف الماء ، فييبس الطين ؟ فيسير رفاتا ويبلى ، ويرد كل الى جوهره الاول ، وتحركت الروح بالنفس ، والنفس حركتها من الريح ، فما كان من نفس المؤمن فهو نور مؤيد بالعقل • وما كان من نفس الكافر فهو نار مؤيد بالنكراء ، فهذا من صورة ناره ، وهذا من صورة نوره • والموت رحمة من الله لعبده المؤمن ونقمة على الكافر •

ولله عقوبتان : احداهما ـ من الروح ، والاخرى ـ تسليط الناس بعض على بعض ، فما كان من قبل الروح فهو السقم والفقر ، وما كان من تسليط فهو النقمة ، وذلك قول الله عز وجل : (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) (١) من الذنوب • فما كان من ذنب الروح فعقوبته بذلك السقم والفقر • وما كان من تسليط فهو النقمة • وكل ذلك عقوبة للمؤمن في الدنيا وعذاب له فيها • واما الكافر : فنقمته عليه

(١) الانعام ١٢٩ ••

في الدنيا وهو العذاب في الآخرة · ولا يكون ذلك الا بذنب من الشهـوة · وهي من المؤمـن خطا ونسيان ، وان يكون مستكرها ، وما لا يطيق · وما كان من الكافـر فعمد وجحـود ، واعتداء وجسد ، وذلك قول الله عز جل : (كفارا حسدا من عند انفسهم) (١) ·

وفي العلل عن ابن ابي ليلى قال : دخلت على ابي عبد الله عليـه السلام ومعي نعمان ، فقال ابو عبد الله عليه السلام : من الذي معك ؟ فقلت : جعلت فداك هذا رجل من اهل الكوفة ، له نظر ونفاد ورأى ، يقال له نعمان ، قال : فلعل هذا الذي يقيس الاشياء برأيه ؟ فقلت : نعم ، قال : يا نعمان هل تحسن ان تقيس رأسك ، قال : لا ، فقال : ما اراك تحسن شيئا ، ولا فرضك الا من عند غيرك ، فهل عرفت كلمة اولها كفر وآخرها ايمان ؟ قال : لا ، قال : فهل عرفت ما الملوحة في العينيـن ، والمرارة في الاذنيـن ، والبرودة في المنخريـن ، والعذوبة في الشفتيـن ؟ قال : لا ، قال ابن ابي ليلى : فقلت : جعلت فداك فسر لنا جميع ما وصفت ، قال : حدثني ابي عن آبائـه

(١) البقرة ١٠٣ ··

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله تبارك وتعالى خلق عيني ابن آدم من شحمتين فجعل فيهما الملوحة ، ولولا ذلك لذابتا ، فالملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى ۰ وجعل المرارة في الاذنين حجابا للدماغ ، فليس من دابة تقع فيه الا التمست الخـروج ، ولولا ذلك لوصلت الى الدماغ ۰ وجعلت العذوبة في الشفتين منا من الله عز وجل على ابن آدم ، فيجد بذلك عذوبـة الريق وطعم الطعام والشراب ۰ وجعل البرودة في المنخرين لئلا تدع في الرأس شيئا الا اخرجته ۰ قلت : فما الكلمة التي اولها كفر وآخرها ايمان ، ثم قال : يا نعمان اياك والقياس فقد حدثني ابي عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قاس شيئا بشيء قرنه الله عز وجل مع ابليس في النار ، فانه اول من قاس على ربه ، فدع الرأي والقياس ، فان الديـن لم يوضـع بالقياس ولا بالرأي ۰

وعن الربيع صاحب المنصور قال :

حضر أبو عبد الله عليه السلام مجلس المنصور يوما ، وعنده رجل من الهند ، يقرأ كتب الطب ، فجعل ابو عبد الله عليه السلام ينصت لقراءته ،

فلما فرغ الهندي قال له : يا ابا عبد الله اتريد مما معي شيئا ، قال : لا ، فان ما معي خير مما معك ، قال : وما هو ، قال : اداوي الحار بالبارد، والبارد بالحـار ، والرطب باليابس واليـابس بالرطب ، وارد الامر كله الى الله عز وجل ،

واستعمل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واعلم أن المعدة بيت الداء ، والحمية هي الدواء ، واعود البدن ما اعتاد ٠

فقال الهندي : وهل الطب الا هذا ؟ فقـال الصادق عليه السلام : افتراني من كتب الطب اخذت ، قال : نعم ، قال لا والله ما اخذت الا عن الله سبحانه ، فاخبرني ؟ انا اعلم بالطب ام انت ، قال الهندي : بل انا ، قال الصادق عليه السلام : فأسألك شيئا ، قال سل ، قال اخبرني يا هندي لم كان في الرأس شؤون ، قال : لا اعلم ، قال : فلم خلت الجبهة من الشعر ، قال : لا اعلم ، قال : فلم كان لها تخطيط واسارير ، قال : لا اعلم، قال : فلم كان الحاجبان من فوق العينين ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم جعـل العينان كاللوزتيـن ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم جعل الانف فيما بينهما ؟ قال : لا اعلم ، قال: فلم كان ثقب الانف في اسفله ؟

قال : لا اعلم ، قال : فلم جعلت الشفة والشارب من فوق الفم ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم احتد السن ، وعرض الضرس ، وطال الناب ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم جعلت اللحية للرجال ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم خلت الكفان من الشعر ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم خلا الشعر والظفر من الحياة ؟ قال : لا اعلم ، قال فلم كان القلب كحب الصنوبر ؟ قال : لا اعلم ، قال فلم كانت الرئة قطعتين ، وجعل حركتها في موضعها ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم كانت الكبد حدباء ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم كانت الكلية كحب اللوبياء ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم جعل طي الركبة الى خلف ؟ قال : لا اعلم ، قال : فلم تخصرت القدم ؟ قال لا اعلم ؟ فقال الصادق عليه السلام : لكني اعلم ، قال : فأجب ؟ فقال الصادق عليه السلام :

كان في الرأس شؤون ؟ لان المجوف اذا كان بلا فصل اسرع اليه الصدع ، فاذا جعل ذا فصول كان الصدع منه ابعد • وجعل الشعر عليه من فوقه ليوصل بوصوله الادهان الى الدماغ ، ويخرج بأطرافه البخار منه ، ويرد عنه الحر والبرد الواردين عليه •

وخلت الجبهة من الشعر لانها مصب النــور الى العينيــن ٠ وجعل فيها التخطيط والاسارير ليحبس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر ما يميطه الانسان عن نفســه ، كالانهار في الارض التي تحبس المياه ٠

وجعل الحاجبــان من فوق العينيــن ليوردا عليهما من النور قدر الكفاية ، الا ترى ـ يا هندي ـ ان من غلبه النور جعل يده على عينيه ، ليرد عليهما قدر كفايتهما منه ٠ وجعل الانف فيمــا بينهما ليقسم النور قسمين ، الى كل عين سواء ٠

وكانت العيــن كاللوزة ليجري فيها الميــل بالدواء ، ويخرج منها الداء ، ولو كانت مربعة او مدورة ما جرى فيها الميل ، وما وصل اليها دواء ، ولا خرج منها داء ٠

وجعل ثقب الانف في اسفله لينزل منه الادواء المنحدرة مــن الدمــاغ ، وتصعد فيــه الروائح الى المشام ، ولو كان في اعلاه لما نزل داء ، ولا وجد رائحــة ٠

وجعل الشارب والشفة فوق الفم ليحبس ما ينزل من الدماغ عن الفــم ، لئلا يتنغص عــلى

الانسان طعامه وشرابه ، فيميطه عن نفسه ٠

وجعلت اللحيـــة للرجال ليستغنى بها عـــن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر من الانثى ٠

وجعل السن حادا لان به يقع العض ٠

وجعل الضرس عريضا لان به يقع الطحن والمضغ ٠

وكان النـــاب طويـــلا ليشتـــد الاضراس والاسنان ، كالاسطوانة في البناء ٠

وخلا الكفان من الشعر لان بهما يقع اللمس ، فلو كان بهما شعر ما دري الانسان ما يقابله ويلمســـه ٠

وخلا الشعر والظفر من الحياة لان طولهما وسخ يقبح ، وقصهما حسن ، فلو كان فيهما حياة لآلم الانسان قصهما ٠

وكان القلب كحب الصنوبر لانـــه منكس ، فجعل رأسه دقيقا ليد خل في الرئة ؟ فتروح عنه ببردها ، لئلا يشيط الدماغ بحره ٠

وجعلت الرئة قطعتين ليدخل بين مضاغطها ؟ فتروح عنه بحركتها ٠

وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة وتقع جميعها عليها فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار ٠

وجعلت الكلية كحبة اللوبياء لان عليها مصب المني ــ نقطةبعد نقطة ــ فلو كانت مربعة او مدورة لاحتبست النقطة الاولى الى الثانية ، فلا يلتذ بخروجها الحي ؟ اذ المني ينزل من فقار الظهر الى الكلية ، فهي كالدودة ــ تنقبض وتنبسط ــ ترميه اولا فأولا الى المثانة ، كالبندقة من القوس ٠

وجعل طي الركبة الى خلف لان الانسان يمشي الى ما بين يديه فتعتدل الحركات ، ولو ذلك لسقط في المشي ٠

وجعلت القدم متخصرة لأن الشيء اذا وقع على الارض جمعيهثقل ثقل الحجر الرجى، واذا كان على حرفه دفعه الصبي ، واذا وقع على وجهه صعب نقله على الرجل ٠

فقال الهندي : من اين لك هذا العلم ؟ فقال عليه السلام : اخذته عن آبائي عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الاجسام والارواح ٠

فقال الهندي : صدقت ، وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وعبده ، وانك اعلم اهل زمانك ·

وفي الانوار النعمانية : روى ان واحد من قوم فرعون اعطاه عنقود عنب وقال : اريد ان تخلق هذا جواهر كبارا ؟ لانك رب قادر ، فأخذه فرعون ، فلما جن عليه الليل سد ابواب بيته ، وقال : لا يدخل علي احد ، فبقي متفكرا في حال العنب ، فأتاه الشيطان ؟ فدق عليه الباب ، فقال فرعون : من في الباب ؟ فقال ابليس : ضرطتي في لحيــة رب لا يدري من في الباب ، فعرفـه فرعون ، فقال : ادخل يا ملعون ، فقال ابليس : ملعون يدخل على ملعون ، فلما دخل عليه رأى عنقود العنب بين يديــه ، وهو حيران ، فقال : ناولني هذا العنقود ، فقرأ عليه اسما ؟ فاذا هو احسن ما يكون من اللئالي · فقال له الشيطان : انصف يا عديم الانصاف ، انا في مثل هذا العلم والكمال ، اردت ان اكون عبدا من جملة العبيد ، فما قبلوني عبدا لباب هذا السلطان ، وانت ــ مع جهلك هذا وحماقتك ــ اردت ان تكون ربا وادعيت هذه المرتبة العظيمة ، فقال له فرعون : يا ابليس

لأي شيء ما سجدت لآدم لما امرت ؟ فقال : لانني علمت ان طينتك الخبيثة في صلبه ، ومن هـذا امتنعت من السجودله ٠

وحكي في بعض السير والتواريخ ان ملكا من الملوك كان جالسا يتغدى وفوق طعامه دجاجة مطبوخة ، فلم يشعر الا وقد انكبت عليه حداة من الهوى ، فأخذت تلك الدجاجة من فوق طعامـه ، فغضب لهذا ، وركب فرسه مع جماعة من عسكره ، فطلب الحداة حتى امعنوا في طلبها ، فوصلت الى جبل عال ، ومضت الى خلف الجبل ، فنزلوا عن خيولهم ورقوا ذلك الجبل ، فلما صعدوا الى قمته ونظروا الى خلف الجبل رأوا تلك الحداة قد اتت ونزلت على رجل مضروبـة بالاوتاد يداه ورجلاه ، وملقى على قفاه ، فقربت اليه الحداة وجعلت تقطع لحم تلك الدجاجة بمنقارها ومخاليبها وتضعه في فم ذلك الرجل ليأكله ، فلما فرغت من هذا طارت الى عين ماء في ذلك الجبل وحملت اليه ماء في حوصلتها واتت اليه وسقته اياه. ثم طارت ، فأتى اليه ذلك السلطان مع اصحابـه وحلوا اوتاده ، واجلسوه وسألوه عن قصتـه ؟ فقال : اني تاجر ، وقد قطع علي اللصوص هذا

الطريق فأخذوا مالي ، واتفقوا على ان يحبسوني فوق هذا الجبل بهذه الاوتاد ، فلما مضوا عني وبقيت يوما على هذه الحالة اتت الي هذه الحداة مع طعمة وماء ، وصارت تتعاهدني في كل يوم مرتيــن كما شاهدتم ، فلما رأى السلطان كيف يوصل الله تعالى رزقه الى عباده قال : لعن الله من يهتم للرزق ، فترك الملك واشتغل بالعبادة الى ان مات .

وقال بعض العلماء : ينبغي لصاحب الزوجة ان يكون فخذه وجفن عينــه منه في الم شديد ، وذلك انه اذا اراد الخروج من المنــزل قالت له امرأته : هات لنا الشيء الفلاني ؟ فيضع يده على عينه للوعدة لها ، فاذا رجع الى المنزل ولم يأت بشيء قالت له : اين الشيء الفلاني ، فعند ذلك يضرب على فخذه ، ويقول : اني نسيت ولم اذكر ، فيكون هذان العضوان منه في الالم دائما .

ونقل ان هارون الرشيد دخل عليه فقيــر ؟ فسأله الرشيد : لم تكون اعمار الفقراء اطول من اعمار الملوك والاغنياء ؟ فقال له الفقير : ذلــك بسبب ان الاغنياء قد آتاهم الله ارزاقهم دفعــة

واحدة ، فأكلوها وفنيت اعمارهم لفنائهم ارزاقهم ، واما الفقراء فأرزاقهم تأتيهم على سبيل التدريج ولم يكونوا ليموتوا حتى تستكمل ارزاقهم ، فقال له هارون : صدقت ، ثم امر له بعطية جزيلة ، فلما اخذها وصار الى منزله مات بعد مدة قليلـــة ، فاتصل خبره بهارون فقال : انا دفعنا اليه رزقه دفعة واحدة ؟ فأكله فمات ·

اراد معاوية ان يداعب عقيلا بن ابي طالب ، وكان عقيل حاضر الجواب ، فقال له : يا عقيل اين ترى عمك ابا لهب في النار ؟ فقال عقيل : اذا دخلتها ، يا معاوية ـ فانظر على يسار الداخل فانك ستجده مفترشا عمتك حمالـــة الحطب ·· فانظر ايهما اسوأ حالا ـ الناكح ام المنكوح · وامرأة ابي لهب هي ام جميل بنت حرب بن امية عمة معاوية ·

وقال المتوكل لابي العيناء : هل رأيت طالبيــا حسن الوجه قط ؟ فقال : نعم ، رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة واحدا ؟ قال : تجده كان يؤاجر وكنت تقود عليه ؟ فقال : يا امير المؤمنين اوقد بلغ هذا من فراغي ، ادع موالي مع كثرتهم واقود على

الغرباء ، فقال المتوكل للفتح : اردت ان اشتفي منهم فاشتفى لهم مني ٠

وفي بصائر الدرجات عن الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان معلم الخير يستغفر له دواب الارض وحيتان البحر وكل ذي روح في الهواء ، وجميع اهـــل السماء والارض ، وان العالم والمتعلم في الاجر سواء ، يأتيـــان يـــوم القيامـــة كفرسي رهـــان يزدحمان ٠

وعنه عليه السلام : ان الله لم يدع شيئا يحتاج اليه الامة ــ الى يوم القيامة ــ الا انزله في كتابه ، وبينه لرسوله ، وجعل لكل شيء حدا ، وجعل عليه دليلا يدل عليه ٠

وعن الصادق عليه السلام : يغدو الناس على ثلاثة صنوف : عالم ومتعلم فنحن العلماء ، وشيعتنا المتعلمون ، وسائر الناس غثاء ٠

وعنه عليه السلام : ان العلماء ورثة الانبياء ، وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما ورثوا احاديث من احاديثهم ؟ فمن اخـــذ شيئا منها فقد أخذ حظا وافرا ؟ فانظروا علمكم

هذا عمن تأخذونه، فان فينا ــ اهل البيت ــ في كل خلف عدو لا ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ٠

وعنه عن ابيه عن علي عليهم السلام قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قراءة القرآن في الصلاة افضل من قراءة القران في غير الصلاة ، وذكر الله افضل من الصدقة ، والصدقة افضل من الصوم ، والصوم جنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا قول الا بعمل ، ولا عمل الا بنية ، ولا نية الا باصابة السنة ٠

وعنه عليه السلام : عجبا للناس ، انهم اخذوا علمهم كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فعملوا به واهتدوا وبروا ٠٠ فانا اهل بيته لم نأخذ علمه ، ونحن اهل بيته وذريته في منازلنا انزل الوحي ومن عندنا خرج العلم اليهم ، افيرون انهم علموا واهتدوا ، وجهلنا نحن وضللنا ، ان هذا المحال ٠

وعنه عليه السلام : في قول الله عز وجل : (ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من

الله) (١) يعني من يتخذ دينه رايه بغير هدى ائمة من ائمة الهدى ٠

(١) يعني من يتخذ دينه رايه بغير هدى ائمة من ائمة الهدى ٠

وعن الباقر عليه السلام : من دان الله بغير سماع من صادق الزمه الله التيه الى يوم القيامة ٠

وعن الباقرين الصادقين عليهما السلام : ان الله خلق محمدا من طينة ؟ من جوهرة تحت العرش ، وانه كان لطينته نضح ؟ فجبل طينة امير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان لطينة امير المؤمنين عليه السلام نضح ؟ فجبل طينتنا من فضل طينة امير المؤمنين عليه السلام ، وكان لطينتنا نضح ؟ فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا ؟ فقلوبهم تحن الينا ، وقلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد على الولد ، ونحن خير لهم ، وهم خير لنا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنا خير ، ونحن له خير ٠

وعن الصادق عليه السلام : ان حديثنا صعب مستعصب ، لا يحتمله الا صدور منيرة ، او قلوب

(١) طه ١٢٣ ٠٠

سليمة ، واخلاق حسنة · ان الله اخذ من شيعتنا الميثاق كما اخذ على بني آدم حيث يقول : (واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) (١) فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة ، ومن ابغضنا ولم يؤد الينا حقنا ففي النار خالد مخلد ·

وللموفق بن احمد ـ اخطب خطباء خوارزم ـ في مدح امير المؤمنين عليه السلام كما في المناقب ·

ان علي ابن ابي طالب
خير الورى ؟ والطالب الغالب
يا طلبا مثل علي وهل
في الخلق مثل الفتى الطالبي
فتوى رسول الله ان لا فتى
الا علي بن ابي طالب
وذو الفقار العضب لم يحكه
سيف وان السيف بالضارب

وقال ايضا ـ رضي الله عنه ـ فيه :

(١) الاعراف ١٧٢ ··

اسد الا له وسيفه وقناتــه
كالظفر يوم صباله والناب
جاء النداء من السماء وسيفه
بدم الكماة يلح في التسكاب
لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى
الا علــي هــازم الاحــزاب

وروى ـ فيه ـ عن ابن عباس قال : لما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين اصحابه وبيــن المهاجرين والانصار ؟ فلم يواخ بين علي بن ابي طالب وبين احد منهم ، خرج علي عليه السلام مغضبا حتى اتى جدولا من الارض ؟ فتوسد ذراعه وسفت عليه الريح ، فطلبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى وجده ؟ فوكزه برجله فقال له : (وفي بعض النسخ ٠٠ تقدم اليه فأقامه بيــده الشريفة وقال له) قم ؟ فما صلحت الا ان تكون ابا تــراب ، اغضبت علي حيــن واخيت بيــن المهاجرين والانصار ولم اواخ بينك وبين احــد منهم ؟ اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي ، الا ومن احبك حف بالامن والايمان ، ومن ابغضك اماته الله ميتــة جاهلية وحوسب بعمله في الاسلام ٠

وفيه عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلت الملائكة علي وعلى علي بن ابي طالب سبع سنين وذلك انه لم ترفع شهادة ان لا اله الا الله الى السماء الا مني ومن علي (ع) ٠

وفيه عن هارون الرشيد عن ابيه عن جده عن عبد الله بن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب – وعنده جماعة – فتذكروا السابقين الى الاسلام ، فقال عمر : اما علي ؟ فسمعت رسول الله يقول فيه ثلاث خصال ؟ لوددت لو كانت لي واحدة منهن ؟ فكان احب الي مما طلعت عليه الشمس ، كنت انا وابو عبيدة وابو بكر وجماعة من اصحابه ؟ اذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده على منكب علي فقال : يا علي انت اول المؤمنين ايمانا ، واول المسلمين اسلاما ، وانت مني بمنزلة هارون من موسى ٠

وفيه ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : السباق ثلاثة : فالسابق الى موسى (ع) يوشع بن نون ، والسابق الى عيسى (ع) صاحب يس ، والسابق الى محمد (ص) علي بن ابي طالب ٠

وعن عبد الله بن مسعود قال : ان اول شيء علمته من امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قدمت مكة في عمرة لي ، فارشدونا الى العباس بن عبد المطلب ؟ فانتهينا اليه وهو جالس الى زمزم ؟ فجلسنا اليه ، فبينا نحن عنده ، اذ اقبل رجل من باب الصفا ، ابيض تعلوه حمرة له وفرة جعدة الى انصاف اذنيه ، اقنى الانف ، براق الثنايا ، ادعج العينين ، كث اللحية ، رقيق المسربين ، شثن الكفين ، حسن الوجه ، معه مراهق ومحتلم ، تقفوه امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ، ثم استلم الغلام ، ثم استلمت المرأة ، ثم طاف بالبيت سبعا ، والغلام والمرأة يطوفان معه ؟ فقلنا يا ابا الفضل ان هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم ، وشيء حدث ؟ قال : هذا ابن اخي محمد بن عبد الله ، والغلام ابن اخي علي بن ابي طالب ، والمرأة امرأته خديجة بنت خويلد ؟ ما على وجه الارض احد يعبد الله بهذا الدين الا هؤلاء الثلاثة ٠

وفيه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : قال ابي : دفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الراية يوم خيبر الى علي بن ابي طالب عليه السلام

ففتح الله تعالى على يده ، واوقفه يوم غدير خم فاعلم الناس انه مولى كل مؤمن ومؤمنة ٠ وقال له : انت مني وانا منك ٠ وقال له : تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ٠ وقال له : انت مني بمنزلة هارون من موسى ٠ وقال له انا سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت ٠ وقال له : انت العروة الوثقى التي لا انفصام لها ٠ وقال له : انت تبين لهم ما اشتبه عليهم بعدي ٠ وقال له : انت امام كل مؤمن ومؤمنة وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي ٠ وقال له : انت الذي انزل الله فيك (واذا ان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) (١) ٠ وقال له : انت الآخذ بسنتي والذاب عن ملتي ٠ وقال له : انا اول من تنشق عنه الارض وانت معي ٠ وقال له : انا اول من يدخل الجنة وانت معي ؟ تدخلها والحسن والحسين وفاطمة ٠ وقال له : انا عند الحوض وانت معي ٠ وقال له : ان الله اوحى الي ان اقوم بفضلك ؟ فقمت به في الناس وبلغتهم ما امرني الله بتبليغه ٠ وقال له : اتق الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها الا بعد موتي ؟ اولئك يلعنهم الله ويلعنهم

---

(١) التوبة ٣ ٠٠

اللاعنون ، ثم بكـى (ص) ، فقيل : مم بكاؤك يا رسول الله ؟ فقال : اخبرني جبْرئيل عليه السلام : انهم يظلمونـه ، ويمنعونـه حقه ، ويقاتلونه ، ويقتلون ولده ، ويظلمونهم بعـده • واخبرني جبرئيل عن الله عز وجل : ان ذلك الظلم يزول اذا قام قائمهم ، وعلت كلمتهم ، واجتمعت الامة على محبتهم ، وكان الشانيء لهم قليلا ، والكاره لهم ذليلا ، وكثر المادح لهم ، وذلك حين تغير البلاد ، وضعف العباد ، واليأس من الفرج ؟ فعند ذلك يظهر القائم فيهم •

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اسمه كاسمي ، واسم ابيه كاسم ابني ؟ هو من ولـد ابنتي فاطمه ، يظهر الله الحق بهم ، ويخمد الباطل بأسيافهم ويبعهم الناس ــ راغبا اليهـم وخائفا منهم ــ قال : وسكن البكاء عن رسول الله (ص) فقال : معاشر الناس بشروا بالفرج ؟ فان وعد الله لا يخلف ، وقضاؤه لا يرد ، وهو الحكيـم الخبير ، وان فتح الله قريب • اللهم انهم أهلي فاذهب عنهم الرجس وطهرهـم تطهيرا ، اللهم اكلأهم ، وارعهـم ، وكن لهـم ، واعزهم ، ولا تذلهم ، واخلفني فيهم انك على ما تشاء قدير •

وفيه عن واثلة بن الاسقع قال : لما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال : اللهم قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على ابراهيم وآل ابراهيم ، اللهم انهم مني وانا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم · قال واثلة : وكنت واقفا على الباب فقلت : وعلي يا رسول الله ، بأبي انت وامي ؟ قال : اللهم وعلى واثلة ·

وفيه عن ابي مطرقال : خرجت من المسجد ؟ فاذا رجل ينادي من خلفي : ارفع ازارك ؟ فانه ابقى لثوبك وانقى لك ، وخذ من رأسك ان كنت مسلما ؟ فمشيت خلفه ، وهو متزر بأزار ومرتد برداء ، ومعه الدرة ، كأنه اعرابي بدوي ، فقلت : من هذا ؟ فقال لي رجل : اراك غريبا بهذا البلد ، قلت : اجل ، رجل من اهل البصرة ، قال : هذا علي امير المؤمنين عليه السلام ، فسار حتى انتهى الى دار بني ابي معيط ــ وهو سوق الابل ــ فقال : بيعوا ، ولا تحلفوا ؟ فان اليمين تنفق السلعة ، وتمحق البركة ثم اتى اصحاب التمر ؟ فاذا خادمة تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : باعني هذا

الرجل تمرا بدرهم ، فرده مولاي ، وابى البائع ان يقبله ، فقال له : خذ تمرك واعطها درهمها ؟ فانها خادمة ليس لها امر ، فدفعه البائع فقلت : اتدري من هذا قال : لا ؟ فقلت : هذا علي بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام ، فصب تمره ، واعطاها درهمها ، وقال له : يا مولاي احب أن ترضى عني ؟ قال : ما ارضاني عنك اذا وفيت الناس حقوقهم ، ثم مر مجتازا بأصحاب التمر ، فقال : يا اصحاب التمر اطعموا المساكين فيربو كسبكم ، ثم مر مجتازا ــ ومعه المسلمون ــ حتى اتى اصحاب السمك ، فقال : لا يباع في سوقنا طافي ، ثم اتى دار فرات ، وهو سوق الكرابيس ، فقال : ياشيخ احسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم ، فلما عرفه لم يشتر منه شيئا ، ثم اتى آخر ، فلما عرفه لم يشتر منه شيئا ، فأتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم ، ولبسه ما بين الرسغين الى الكعبين فقال حين لبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما اتجمل به في الناس واورى عورتي ، فقيل له : يا امير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك او شيء سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

قال : بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند الكسوة : فجاء ابو الغلام صاحب الثوب ، فقيل له : يا فلان قد باع ابنك اليوم من امير المؤمنين قميصا بثلاثة دراهم ، قال لابنه : أفلا اخذت منه درهمين ، فأخذ ابوه درهما وجاء به الى امير المؤمنين ــ وهو جالس على باب الرحبة ومعه المسلمون ــ فقال : امسك هذا الدرهم يا امير المؤمنين ؟ فقال ما شأن هذه الدراهم ، قال : كان ثمن القميص درهمين ؟ قال : باعني برضاي واخذه برضاه ٠

وفي تذكرة الخواص : وقع حريق في دار علي بن الحسين وهو ساجد فقالوا : النار النار يا ابن رسول الله ، فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له : ما الذي ألهاك عنها ؟ فقال : النار الاخرى ٠

وجاء اليه رجل فقال له : ان فلانا يقع فيك ؟ فقال له : قم بنا اليه ، فقام معه وهو يظن انه سينتصر لنفسه ، فلما وصل اليه قال له : يا فلان ان كان ما قلت في حقا فغفر الله لي ، وان كان باطلا فغفر الله لك ٠

وكان يقول : عجبا للمتكبر الفخور الذي كان

بالامس نطفة ، وهو غدا جيفة ، وعجبت لمن شك في الله ، وهو يرى عجائب مخلوقاته ، وعجبت لمن يشك في النشـأة الاخرى ، وهو يرى النشـأة الاولى ، لمن عمل لدار الفناء ، ترك دار البقاء ٠

وكان اذا اتاه سائل قال : مرحبا بمن يحمل زادي الى الآخرة ٠ وفي الحلية لابي نعيم قال : قال علي بن الحسين : فقد الاحبة غربة ، وكان يقول : اللهم اني اعوذبك ان تحسن في لوامـع العيـون علا نيتـي ، وتقبح في خفيات القلوب سريرتي ، اللهـم كما اسأت واحسنت الي فاذا عدت فعد لي ٠

وكان يقول : ان قوما عبدوا الله رهبة ؟ فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة ؟ فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوا الله شكرا ؟ فتلك عبادة الاحرار ٠

وفيه عن ابن شهاب الزهري قال : شهدت علي بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة الى الشام فأثقله حديدا ، ووكل به حفاظا في عدة وجمع ، فاستاذنتهم في التسليم عليـه والتوديع له ، فأذنوا لي ، فدخلت عليه وهـو في قبة والاقياد في رجليه والغل في يديه ، فبكيت ،

وقلت : وددت اني مكانك وانت سالـم ؟ فقال : يا زهرى اتظن ان هذا مما ترى علي وفي عنقي يكربني ، اما لوشئت ما كان . فانه وان بلغ بك وبأمثالك ليذكرني عذاب الله ، ثم اخرج يديه من الغل ورجليه من القيد . ثم قال : يا زهرى لاجزت معهم على ذا الا منزلتين من المدينة . قال : فما لبثنا الا اربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه ، فكنت فيمن سألهم عنـه . فقال : بعضهـم : انا لنراه متبوعا ، انه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده ، اذ اصبحنا فما وجدنا بين محمله الا حديده . قال الزهرى : فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته فقال لي : انه قد جاءني يوم فقده الاعوان ، فدخل علي فقال : ما انا وانت ؟ فقلت : اقم عندي ؟ فقال : لا احب ، ثم خرج ، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفـة . قال الزهرى : فقلت : يا امير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن ؟ انه مشغول بنفسه . فقال : حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به ، قال : وكان الزهرى اذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول : زين العابدين .. وفيه عن ابي حمزة الثمالي قال : كان علي بـن الحسين

يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ، ويقول : ان صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل ٠

وعن شيبة بن نعامة قال : كان علي بن الحسين يبخل ، فلما مات وجدوا بظهره آثارا مما كان يحمل بالليل الجرب الى المساكين ٠

وعن عمرو بن ثابت قال : لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون الى آثار سواد بظهره ٠ فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء اهل المدينة ٠

وعن محمد بن اسحاق قال : كان ناس من اهل المدينة يعيشون لا يدرون من اين كان معاشهم ؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل ٠

وكان اهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين (ع) ٠

وفي نور الابصار : انه خرج من المسجد يوما ؟ فلقيه رجل فسبه ، وبالغ في سبه وافرط ، فعاد اليه العبيد والموالي فكفهم عنه ، واقبل عليه وقال له : ما ستر عنك من امرنا اكثر ، الك حاجة

نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ؟ فألقى اليه خميصة والقى اليه خمسة آلاف درهـم ؟ فقال الرجل : اشهد انك من اولاد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

ونقل غير واحد : ان هشام بن عبد الملك حج في حياة ابيه ، فطاف بالبيت ، وجهد ان يستلم الحجر الاسود فلم يصل اليه من كثرة الزحام ، فنصب له منبر الى جانب زمزم في الحطيم، وجلس عليه ينظر الى الناس ، وحوله جماعة من اهل الشام ، فبينما هم كذلك اذ اقبل زين العابدين عليه السلام يريد الطواف ، فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلم الحجر الاسود؟ فقال رجل من اهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يمينا وشمالا ؟ فقال هشام : لا اعرفه ـ مخافة ان يرغب فيه اهل الشام ـ وكان الفرزدق حاضرا فقال للشامي : انا اعرفه ؟ فقال : من هو يا ابا فراس ، فقال الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم

اذا راتــه قريش قال قائلهـــا
الى مكارم هــذا ينتهي الكــرم

ينمى الى ذروة العز التي قصرت
عن نيلها عرب الاسلام والعجم

يكاد يمسكــه عرفان راحتــه
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فما يكلــم الا حيــن يبتســـم

من جــده دان فضل الانبياء له
وفضل امتــه دانت له الامـــم

ينشق نور الهدى من نور غرتــه
كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم

مشتقة من رسول الله نبعتــه
طابت عناصره والخيم والشيم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده انبياء الله قد ختمـــوا

اللــه فضلــه قــدمــا وشرفــه
جرى بذاك له في لوحــه القــلم

وليس قولك من هــذا بضائره
العرب تعرف من انكرت والعجم

كلتا يديه غياث عم نفعهمـــا
يستوكفان ولا يعروهما العـــدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره
اثنان حسن الخلــق والكــرم

حمال اثقال اقــوام اذا فدحوا
حلو الشمائل تحلــو عنده نعــم

ما قال لا قط الا في تشهــده
لولا التشهد كانت لاؤه نعــــم

لا يخلف الوعد ميمون نقيبتــه
رحب الفناء اريب حين يعتــــرم

عـــم البرية بالاحسان فانقصلت
عنــه القتارة والاملاق والعــدم

من معشر حبهم دين وبغضهـــم
كفــر وقربهم منجى ومعتصـــم

ان عدّ اهل التقى كانوا أئمتهم
او قيلمن خيراهل الارض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهـــم
ولا يدانيهم قوم وان كرمـــوا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت
والاسد اسد الشرى والباس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم
سيان ذاك ان اثروا وان عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم
ويستزاد به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم
خيم كريم وايد بالندى عصم
اي الخلايق ليست في رقابهم
لاولية هذا وله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا
فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ، ثم اخذ الفرزدق وسجنه بعسفان ، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فبعث اليه بأربعة آلاف درهم ؟ فردها الفرزدق ، وكتب اليه : انما مدحتك بما انت اهله ؟ فردها عليه وكتب اليه :

ان خذها وتعاون بها على دهرك
فانا اهـــل بيت اذا وهبنـــا
شيئا لا نستعيده ، فقبلها منه ، وفي رواية : فبعث اليه باثني عشر درهم ، وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا اكثر من هذا لوصلناك به ، وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في السجن فبعث اليه فأخرجه ، وكان مما هجاه به قوله ٠

ايحسى بيـن المدينة والتي
اليهـا الناس يهـوى منيبهـــا
يقلب رأسا لم يكـن رأس سيـد
وعينـا له حولاء باد عيوبهـــا

قال بعض اهل الرياضات : مثل القلب كريشة في فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن ، وكورق شجر يهزه نسيـم الآمال ، واوراق كتب يقلبها بنان الامانـي ، ولم تـزل و لاتزال قلـوب الاعالي والاداني ــ من عدم نيل المآرب ــ ذاهبة افكارهم في طلب المطالب كل مذهب ؟ مقبلة بأنامل الترجل وهبوب نسائم التمني ورياح احاديث النفس ٠

والقلوب هدف سهام القهرو اللطف ، وهي متقلبة في قبضة خالقها ، وقدرة رازقها ، فاذا

وقعت في بحار نكرات مالت من تأثير القهريات الى عالـــم الشهوات ، وافاضت على الجوارح مباشرة الآثام ٠

واذا وقعت في بعض المغارف وقعت ـ بتوفيق الله العلام وبعث المحبة والشوق ـ الى مشاهدة جلاله ؟ فاستنارت بنور حماله ؟ فنورت العقـــل والروح والحس وانفتحت عليها ابواب الفتوح ٠

ويتولـــد من حسن جوارها خشوع الصورة لهيبته ، وصلاح الجوارح في خدمته ٠

والقلب في اللغة : صرف الشيء الى عكسه ، ومنه القلب ، سمي به لكثرة تقلبه ، وله ظاهر ؟ وهو المضغة الصنوبرية المودعـــة في التجويف الايسر من الصدر ، وهو محل اللطيفة الانسانية ٠ ولذا ينسب اليــه الصلاح والفساد والاعراض النفسانية ٠

وباطن ؟ وهو اللطيفة الربانية النورانيـــة العالمة التي هي محط الانوار الالهية ، وبها يكون الانسان انسانا في الحقيقة ، وبها يستعد لامتثال الاحكام الشرعية ، وبها صلاح البدن وفساده ، وحشر الجسد في معاده ، ويعبر عنهـــا بالنفس

الناطقة (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (١) وبالروح (قل الروح من امر ربي) (٢) ولذا كانت معرفتهكما هي متعذرة ، والاشارة الى حقيقته على ارباب الحقائق متعسرة .

وهي مقر الايمان (اولئك كتب في قلوبهم الايمان) (٣) كما ان الصدر بسببها محل الاسلام (أفمن شرح الله صدره للاسلام) (٤) والفؤاد مقر المشاهدة (ما كذب الفؤاد ما رأى) (٥) واللب مقام التوحيد (انما يتذكرا ولو الالباب) (٦) الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى ، وبقوا بلب الوجود الحقيقي ، اولئك الذين (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (٧) وجاهدوا نفوسهم ، واوكلوا امرها وفوضوا اليه .

وان مثل الانسان في بدنه كمثل وال في بلده ، وقواه وجوارحه اعوانه ، والعقل وزير ناصح ، والشهوة فيه كعبد سوء جالب للبلاء .

العبد المذكور حيث يتمثل للوالي بصورة

---

(١) الشمس ٧ .. (٢) الاسراء ٨٥ .. (٣) المجادلة ٢٢ ..
(٤) الزمر ٢٢ .. (٥) النجم ١١ .. (٦) الرعد ١٩ ..
(٧) الاحزاب ٢٣ ..

الناصح ؟ ففي نصحه دبيب العقرب ، ويعارض الوزير في تدبيره ، ولا يغفل ساعة عن معارضته وتغريره ٠

وكما ان الوالي اذا استشار في تدبير مملكته وزيره ـ دون هذا العبد الخبيث ـ وجعل الوزير مسلطا على هذا العبد حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ، ومقودا لا قائدا ، ومدبرا (بفتح الباى) لا مدبرا (بكسرها) استقام امر بلده ٠

كذا النفس استعانت بالعقل في التدبير ، وسلطته الشهوات استتب امرها والا فسد ٠ ولله در من قال :

يكثـــر آفاتـــي واوجاعـــي
من شر نفس بيـن اضلاعـي

فهـــو الى ما ضرنـــي مائـل
وهـــو الى مـــا يشتهـــي داح

انتهى ٠

وعن الكاظم عليه السلام : قال رسول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم : اربع يفسدن القلب ، وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر :

أستماع اللهو ، والبذاء ، واتيان باب السلطان ، وطلب الصيد ٠

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : اربع يمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء ، يعني محادثتهن ، ومماراة الاحمق ، تقول ويقول ، ولا يرجع الى خير ابدا ، ومجالسة الموتى؟ فقيل له: يارسول الله ومامجالسة الموتى؟ قال : كل غني مترف ٠

قالوا : التسبيح اما بلسان الحال ٠٠ فان كل ذرة من الموجودات تنادي بلسان حالها على وجود صانع حكيم واجب الجود لذاته ٠ واما بلسان المقال ٠٠ وهو في ذوي العقول ظاهر ٠٠ واما غيرهم من الحيوانات : فذهب فرقة عظيمة الى ان كل طائفة منها تسبح ربها بلغتها واصواتها ، وحملوا عليه قوله تعالى : (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم) (١) ٠

واما غير الحيونات من الجمادات ٠٠ فذهب جم غفير الى ان لها تسبيحا لسانيا ، واعتضدوا

---

(١) الانعام ٣٢ ٠٠

بقولــه عــز شأنه : (وان مــن شـــيء الا يسبح بحمده) (١) ٠

وقالوا : لو اريـد التسبيح بلسان الحــال لاحتــاج (ولكــن لا تفقهون تسبيحــهم (٢) الى تأويل ٠

وذكــروا ان الاعجاز في تسبيح الحصى ـ في كف نبينا ـ ليس من نفس التسبيح ؟ بل من حيث سماعه الصحابة ، والا فهو في التسبيــح دائما ٠

وانت عليم بأن التسبيح تنزيه قولي كلامي ؛ وحقيقــة الكلام الكشف عن الضمير بنــوع من الاشارة اليه والدلالة عليه ؟ غير ان الانسان لما لم يجد الى ارادة كل ما يريد الاشارة اليه ـ من طريق التكويــن ـ طريقا التجــأ الى استعمال الالفاظ ، وهي الاصوات الموضوعة للمعاني ، ودل بها على ما في ضميره ، وجرت على ذلك سنة التفهم والتفهيم ٠ وقد يستعين احدنا على بعض

....

(١) و (٢) الاسراء ٤٤ ٠٠

مقاصده بالاشارة بيده او رأسه وعينه او غير ذلك ، كما قيل :

اشارت افـواه وغمـز حواجب
وتكليـم اجفـان وكف تسلـم

وقول الآخر :

عيناك قد دلتا عيني منك على
اشياء لولا هما ما كنت تبديها

وربما استعان على ذلك بكتابة او نصب علامة ٠

وبالجملة فكلما يكشف عن معنى مقصود هو قول وكلام ٠ وان لم يكـن بصوت مقروع ولفظ موضوع ٠

قال تعالى : (انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) (١) ٠ اراد : اردنا كونه فكان ؟ فقـد عبر عـن الارادة بالقول ٠ وقال تعالى : (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله كلمته القاها الى مريم) (٢) ٠ فقـد عبر عـن الرجل وهو المسيح بالكلمة ٠

---

(١) النحل ٤٠ ٠٠ (٢) النساء ١٨١ ٠٠

واعلم ان هذه الموجودات المشهودة من السماوات والارض وما فيهما تكشف كشفا صريحا عن وحدانية ربها وتنزيهه عن كل نقص وشين ؟ فهي تسبح له سبحانه ·

وذلك انها ليس لها في انفسها الا محض الحاجة والفاقة اليه فهي بحاجاتها وفقرها شاهدة على كمال خالقها وغناه وتنزهه عن كل نقص ، وانه الرب لا رب غيره ، والغني الذي لا فقر عنده ، والكمال الذي لا نقص فيه فهي مسبحة له ·

ولعلك تقول : ان مجرد الكشف عن التنزه لا يسمى تسبيحا حتى يقارن القصد · والقصد مما يتوقف على الحياة ·

والاغلب من هذه الموجودات عادم الحياة ، كالارض والسماء وانواع الجمادات ؟ فلا مخلص من حمل التسبيح على المجاز · فتسبيحها دلالتها بحسب وجودها على تنزه ربها ·

فنقول : ان كلامه تعالى مشعر بأن العلم سار في الموجودات مع سريان الخلقة فلكل منها حظ من العلم على مقدار حظه من الوجود ، ولا يلزم

من ذلك ان يتساوى الجميع من حث العلم أو يتحد من حيث الجنس والنوع ، او يكون عند كل فرد من جميع هذه الاشياء ما عند الانسان من ذلك ، او ان يفقه الانسان بما عندها من العلم • وكيف يكون هذا الانسان لا يستطيع ان يفقه ما عند اخيه الانسان ؟ فكيف يستطيع ان يفقه ما عند غيره من العلم •

وقد قال تعالى : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء) (١) وقال : (فقال لها وللارض ائتينا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين) (٢) • والآيات في هذا المعنى كثيرة •

اذا عرفت هذا فاعلم ــ ان ما من مخلوق الا وهو يشعر بنفسه بعض الشعور ، وهو يريد ــ بوجوده ــ اظهار نفسه المحتاجة الناقصة التي يحيط بها غنى ربه وكماله ؟ فهو يسبح ربه وينزهه عن الشريك وعن نقص ينسب اليه •

وفي كلام الحكماء : كل شيء يسعى الى

---

(١) حم السجدة ٢١ •• (٢) حم السجدة ١١ ••

كماله ؟ فاذن لا بد لكل شيء من شعور ؟ أذان السعي وطلب الكمال لا يجوز ان يكـون بغيـر شعور ٠

ومن هنا يظهر ان لا وجه لحمل التسبيح على مطلق الدلالة مجازا ـ كما زعمه الرازى ـ لان المجاز لا يصار اليه الا مع امتناع الحمل عـلى الحقيقـة ، كما وان قوله تعالـى : (تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن) (١) يثبت لها تسبيحا حقيقيا ٠ وهذا التسبيح هو تكلمها بوجودها وما له من الارتباط بسائر الموجودات ، وهو تنزيه ربها عما ينسب اليه المشركون مـن الشركاء وجهات النقص ٠

بل ان كل شيء كما يسبحه تعالـى فكذلك يحمده بالثناء عليه بجميل صفاته وافعاله بدليل تعميم التسبيح والتحميد لـكل شيء في قوله : (وان من شيء الا يسبح بحمده) ٠

فاذا لوحظت الاشياء من جهة كشفها عما عند ربها بابرازها ما عندها من الحاجة والنقص ـ

---

(١) الاسراء ٥٥ ٠٠

مع ما لها من الشعور بذلك ـ كان ذلك تسبيحا منها ، واذا لوحظت من جهة كشفها ما لربها باظهارها ما عندها من نعمة الوجود وسائر جهات الكمال فهو حمد منها لربها ، واذا لوحظ كشفها ما عند اللـه سبحانه من صفة جمال او جلال ، مع قطع النظر عن علمها وشعورها بما تكشف عنه ـ كان ذلك دلالة منها عليه تعالى وهي آياته ٠

وهذا نعم الشاهد على ان المراد بالتسبيح في الآية ليس مجرد دلالتها على نفي الشريك وجهات النقص عنه ، فان الخطاب في قوله : (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) اما للمشركين واما للناس ـ اعم من المؤمن والمشرك ـ وهم على اي حال يفقهون دلالة الاشياء على صانعها ؟ مع ان الآية تنفي عنهم الفقه ٠

وقال الرازى : ان الخطاب للمشركين وذلك انهم وان كانوا مقرين بألسنتهم بأثبات اله العالم الا انهم ما كانوا عالمين بكمال قدرته ٠ ولذلك فانهم استبعدوا كونه تعالى قادرا على الحشر والنشر فكان المراد ذلك ٠ وايضا فانه تعالى ٠

قال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذن لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) (١) فهم ما كانوا عالمين بهـذا الدليل ، فلما ذكر هذا الدليل قال : (تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن) ٠

فتسبيح السماوات والارض ومن فيهن يشهد بصحة هذا الدليل وقوته ؟ وانتم لا تفقهون هذا الدليل ولا تعرفونه ٠ بل نقول : ان لقوم كانوا غافلين عن اكثر دلائل التوحيد والعدل والنبـوة والمعاد ، فكان المراد من قوله : (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ذلك ، ومما يدل على ان الامر كمـا ذكرناه قوله : (انه كان حليما غفورا) فذكـر الحليم والغفور ههنا يدل على ان كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم صدر عنهم ، وهذا انما يكون جرما اذا كان المراد من ذلك التسبيح كونها دالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته ٠ تلك الدلائل ٠ انتهى كلامه ٠

ثم انهم لغفلتهم وجهلهم ما عرفوا وجه دلالة

---

(١) الاسراء ٤٢ ٠٠

قلت : وهذا القول جدير بعدم الالتفات ؟ لان تنزيل الفهم منزلة العدم او جعل البعض مقــام الجميع لا يلائم مقام الاحتجاج ، وهو سبحانــه يخاطبهم في سابق الآية بالحجة على التنزيه ٠

واما ما وقع في قوله بعد هذه الآية : (واذا قرأت القرآن) الى اخــر الآيات من نفي الفقــه عن المشركين فلا يؤيد ما ذكروه ؟ حيث ان الآيات تنفي عنهم فقه القرآن ، وهو غير نفي فقه دلالة الاشياء على تنزهه تعالى ؟ اذ بها تتم الحجــة عليهم ٠

فالحق ان التسبيح الذي تثبته الآية ــ لكل شيء ــ هو التسبيح بمعناه الحقيقي ، وقد تكرر في كلامه تعالى الى اثباته للسماوات والارض ومن فيهن وما فيهن ، وفيها موارد لا تحتمل الا الحقيقــة ، كقوله تعالــى : (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) (١) وقوله : (انا سخرنا الجبال معــه يسبحن بالعشــي والاشراق) (٢) وكذلك قوله : (يا جبال اوبي معه والطير)(٣) فلا

---

(١) الانبياء ٧٩ ٠٠ (٢) ص ١٨ ٠٠ (٣) سبأ ١٠ ٠٠

معنى لحملها علي التسبيح بلسان الحال ٠

وقد استفاضت الاخبار من طرق اهل السنة والشيعة ان للاشياء تسبيحا ، ومنها روايات تسبيح الحصى في كف رسول الله (ص) وفي الدر المنثور عدة روايات : منها ـ اخرج سعيد بن ابي منصور وابن ابي حاتم والطبراني وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الاسماء والصفات عن عبد الرحمن بن قرط ان رسول الله (ص) ليلة اسرى به الى المسجد الاقصى كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطاروا به حتى بلغ السماوات العلى، فلما رجع قال : سمعت تسبيحا في السماوات العلى مع تسبيح كثير ٠ سبحت السماوات العلى ـ من ذي المهابة مشفقات ـ لذى العلو بما علا سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى ٠

ومنها ـ اخرج ابن ابي حاتم عن لوط بن ابي لوط قال : بلغني ان تسبيح سماء الدنيا : سبحان ربنا الاعلى ، والثانية : سبحانه وتعالى ، والثالثة : سبحانه وبحمده ، والرابعة : سبحانه لا حول ولا قوة الا به ، والخامسة : سبحان محيي

الموتى وهو على كل شيء قدير ، والسادسة : سبحان الملك القدوس ، والسابعة : سبحان الذي ملأ السماوات السبع والارضين السبع عزة ووقارا ٠

ومنها ـ اخرج ابو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
لا تضربوا وجوه الدواب ؟ فان كل شيء يسبح بحمده ٠

ومنها ـ اخرج احمد عن معاذ بن انس عن رسول الله (ص) انه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل ، فقال لهم :

اركبوها سالمة ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق ؟ فرب مركوبة خير من راكبها واكثر ذكرا لله منه ٠

ومنها ـ اخرج البخاري ومسلم وابو داود النسائي وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قرصت نملة نبيا من الانبياء ؟

فامر بقرية النمل فاحرقت ، فأوحى الله اليه ! من اجل نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح ٠

ومنها ـ اخرج النسائي وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر قال : نهى رسول الله (ص) عن قتل الضفدع ، وقال : نعيقها تسبيح ٠

ومنها ـ اخرج ابو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : (وان من شيء الا يسبح بحمده) قال : الزرع يسبح بحمده واجره لصاحبه ، والثوب يسبح ، والوسخ يقول لصاحبه : ان كنت مؤمنا فاغسلني اذا ٠

ومنها ـ اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة في قوله : (وان من شيء الا يسبح بحمده) قال : الاسطوانة تسبح ، والشجرة تسبح ٠

ومنها ـ اخرج ابو الشيخ عن انس قال : اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطعام ثريد ؟ فقال : ان هذا الطعام يسبح، قالوا يارسول الله وتفقه تسبيحه ؟ قال : نعم ، ثم قال لرجل : ادن هذه القصعة من هذا الرجل ؟ فادناها منه ، فقال : نعم ، يا رسول الله هذا الطعام يسبح ،

فقال : ادنها من آخر ، فادناها منه ، فقال : هذا الطعام يسبح ، ثم قال : ردها ، فقال الرجل : يا رسول الله لو امرت على القوم جميعا ؟

فقال : لا ، انها لو سكنت عند رجل لقالوا من ذنب ٠

ومنها ــ اخرج الخطيب عن ابي حمزة قال : كنا مع علي بن الحسين فمر بنا عصافير يصهن؟ فقال : اتدرون ما تقول هذه العصافير ؟ فقلنا : لا ، قال : اما اني ما اقول انا نعلم الغيب ، ولكني سمعت ابي يقول : سمعت علي بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام يقول : ان الطير اذا اصبحت سبحت ربها وسألته قوت يومها ، وان هذه تسبح ربها وتسأله قوت يومها ٠

وفي بصائر الدرجات عن جابر عن ابي جعفر قال : بينا علي بن الحسين مع اصحابه اذ اقبلت ظبية من الصحراء ، حتى قامت حذاءه وصوتت ؟ فقال بعض الحاضرين : يا ابن رسول الله ما تقول هذه الظبية ؟ قال : تزعم ان فلانا القرشي اخذ خشفها بالامس ، وانها لم ترضعه من امس شيئا ، فبعث اليه علي بن الحسين عليهما السلام :

ارسل الي بالخشف ، فلما رأت خشفها صوتت وضربت بيديها ، ثم ارضعته ، قال : فوهبه علي بن الحسين عليهما السلام لها ، وكلما بـكلام نحوا من كلامها ، وانطلقت في الخشف معها ، فقالوا : يا ابن رسول الله ما الذي قالت ، قال : دعت الله لكم وجزتكم بخير ٠

وفيه عن محمد بن مسلم قال : كنت مع ابي جعفر عليه السلام بين مكة والمدينة ، وانا اسير على حمار لي وهو على بغلته ؟ اذ اقبل ذئب من رأس الجبل حتى انتهى الى ابي جعفر عليه السلام فحبس البغلة ، ودنا الذئب من ابي جعفر عليه السلام حتى وضع يده على قربوس السرج ، ومد عنقه الى اذنه ، وادنى ابو جعفر اذنه منه ساعة ثم قال : امض فقد فعلت ؟ فرجع مهرولا ، قال : قلت : جعلت فداك لقد رأيت عجبا ، قال : وتدري ما قلت ، قال : الله ورسوله وابن رسوله اعلم ؟ قال : انه قال لي يا ابن رسول الله ان زوجتي في ذلك الجبل ، وقد تعسر عليها ولادتها ؟ فادع الله ان يخلصها ولا يسلط احدا من نسلي على احد من شيعتكم ، قلت : فقد فعلت ٠

وفيه عن ابي عبد الله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما قاعدا في اصحابه ؟ اذ مر به بعير ، فجاء حتى ضرب بجرانه الارض ورغـا ؟ فقال رجل من القوم : يا رسول الله ، اسجد لك هذا البعير ، فنحن احق بالسجود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، بل اسجدوا لله ، ان هذا الجمل جاء يشكو لربابه ، وزعم انهم انتجوه صغيرا ، فلما كبر ـ وقد اعتملوا عليه وصار عودا كبيرا ـ ارادوا نحره ، فشكا ذلك ، فدخل رجلا من القوم ما شاء الله ان يدخله من الانكار لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو امرت شيئا ان يسجد لآخر لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها . ثم انشأ ابو عبد الله عليه السلام يحدث فقال : ثلاثة من البهائم تكلموا على عهـد رسول الله : الجمل والذئب والبقرة ، فالجمل : فكلامه الذي سمعت ، واما الذئب : فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكا اليه الجوع ؟ فدعا اصحابه فكلم فيـه ؟ فتنحوا ، فقال لأصحاب الغنم : افرضوا للذئب شيئا ؟ فتنحوا ، ثم جاء الثانية فشكا اليه الجوع ؟

فدعاهم ؟ فتنحوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للذئب : اختلس ، اي خذ ، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرض للذئب ما زاد عليه شيئا حتى تقوم الساعة .

واما البقرة : فانها آمنت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ودلت عليه ، وكانت في نخل ابي سالم فقالت : يا آل نجيح تعمل على نجيح ، صائح يصيح بلسان عربي فصيح ، بأن لا اله الا الله رب العالمين محمد رسول الله سيد النبيين وعلي سيد الوصيين . وفي الاغاني عن المدائني قال : كان السيد الحميري يأتي الاعمش فيكتب عنه فضائل علي (ع) ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعرا ، فخرج ذات يوم من عند بعض امـراء الكوفة ـ وقد حمله على فرس وخلع عليه ، فوقف بالكناسة ثم قال : يا معشر الكوفيين من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن ابي طالب لم اقل فيها شعرا اعطيته فرسي هذا وما علي ؟ فجعلوا يحدثـونه وينشدهم ، حتى اتاه رجل منهم وقال : ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عزم على الركوب فلبس ثيابه واراد لبس الخف ؟ فلبس احد خفيه ثم اهوى الى الآخر ليأخذه ، فانقض

عقاب من السماء فحلق به ثم القاه ، فسقط منه اسود فانساب ودخل جحرا فليس علي (ع) الخف · قال : ولم يكن قال في ذلك شيئا ، ففكر هنيهة ثم قال :

الا يا قوم للعجب العجاب
لخف ابي الحسين وللحباب

اتى خفاله وانساب فيه
لينهش رجله منه بناب

فخر من السماء له عقاب
من العقبان او شبه العقاب

فطار به فحلق ثم اهوى
به للأرض من دون السحاب

الى جحر له فانساب فيه
بعيد القعر لم يرتج بباب

كريه الوجه اسود ذو بصيص
حديد الناب ازرق ذو لعاب

ودوفع عن ابي حسن علي
نقيع سمومه بعد انسياب

وفيه عن ابي الزغل المراد قال : قام علي بن ابي طالب فتطهر للصلاة ثم نزع خفه فانساب فيه افعى ، فلما عاد ليلبسه انقضت عقاب ؟ فأخذته ؟ فحلقت به ثم القته ، فخرج الافعى منه ٠

وفيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد حاجة تباعد حتى لا يراه احد ، فنزع خفه فاذا عقاب قد تدلى فرفعه فسقط منه اسود سالخ ، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم اني اعوذ بك من شر ما يمشي على بطنه ، ومن شر ما يمشي على رجلين ، ومن شر ما يمشي على اربع ومن شر الجن والانس ٠

وفي مناقب ابن شهراشوب عن علي عليه السلام قال : كنت اخرج مع رسول الله الى اسفل مكة واشجارها ، فلا يمر بحجر ولا شجر الا قالت : السلام عليك يا رسول الله ، وانا اسمع ٠

وفيه علقمة وابن مسعود : كنا نجلس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونسمع الطعام يسبح ورسول الله يأكل ، واتاه مكرز العامري وسأله آية ؟ فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده ٠

وفي حديث ابي : فوضعهن على الارض فلم يسبحن وسكتن ، ثم عاد واخذهن فسبحن ·

وفيه ابن عباس قال : قدم ملوك حضر موت على النبي (ص) فقالوا : كيف نعلم انك رسول الله ؟ فأخذ كفا من حصى فقال . هذا يشهد اني رسول ، فسبح الحصى في كفه وشهد انه رسول الله ·

وفيه عن سعيد بن المسيب : كان الناس لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين ، فخرج وخرجت معه ، فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين سبح في سجوده ، فلم يبق شجر ولا مدر الا سبح معه ، ففزعت منه ، فرفع رأسه فقال : يا سعيد افزعت ؟ قلت : نعم يا ابن رسول الله ، قال : هذا التسبيح الاعظم ·

وفيه عن محمد بن مسلم قال : كنت عنده (يعني الباقر عليه السلام فرجع زوج ورشان وهدلا هديلهما ، فرد عليهما ابو جعفر كلامهما ساعة ثم طارا ، فقلت له : جعلت فداك ما قال هذا الطائر ؟ فقال : يا ابن مسلم كل شيء خلقه الله ــ من طير او بهيمة او شيء فيه روح ــ فانه اطوع لنا واسمع من ابن آدم ، ان هذا الورشان ظن

بانثاه سوءا فحلفت له ما فعلت فلم يقبل، فقالت: ترضى بمحمد بن علي ؟ فرضيا بي ، فأخبرته انه لها ظالم فصدقها · وفيه سالم مولى بياع الزطي قال : كنا في حائط لأبي عبد الله عليه السلام نتغدى انا ونفر معي فصاحت العصافير ، فقال : اتدري ما تقول ؟ فقلت : جعلت فداك لا والله ما دري ما تقول ، فقال : تقول : اللهم اني خلق من خلقك لا بد لنا من رزقك اللهم فاسقنا ·

وفيه انه (ع) سمع فاختة تصيح في داره فقال : تدرون ما تقول هذه الفاخته ؟ قلنا : لا ، قال : تقول : فقدتكم فقدتكم ، فافقدوها قبل ان تفقدكم ·

وفيه (ع) قال : يقول الورشان : قدستم قدستم ·

وفي البحار : قال النيسابوري : قال المفرسون : انه تعالى جعل الطير في ايامه (يعني سليمان) مما له عقل ، وليس كذلك الطير في ايامنا ، وان كان فيها ما قد الهمه الله الدقائق التي خصت بالحاجة اليها · يحكى انه مر على بلبل شجرة فقال لأصحابه : انه يقول : اكلت

بصف تمرة وعلى الدنيا العفا ، اي التراب •
وصاحت فاختة ، فأخبر الناس انها تقول : ليت
ذا الخلق لم يخلقوا • وصاح طاووس ، فقال :
يقول : كما تدين تدان • واخبر ان الهدهد يقول :
استغفروا الله يا مذنبون • والخطاف يقول :
قدموا خيرا تجدوه • والرخمة تقول : سبحان ربي
الاعلى ملء ارضه وسمائه • والقمري يقول :
سبحان ربي الاعلى • والقطاة تقول : من سكت
سلم • والببغاء يقول : ويل لمن الدنيا همه •
والديك يقول : اذكروا الله يا غافلون • والنسر
يقول : يا ابن ادم عش ما شئت آخره الموت •
والعقاب يقول : في البعد من الدنيا انس •

وفي مجمع البيان : اهل العربية يقولون :
انه لا يطلق النطق الا على بني آدم ، وانما يقال
الصوت ؟ لان النطق عندهم عبارة عن الكلام ولا
كلام للطير ، الا انه لما فهم سليمان معنى صوت
الطير سماه منطقا مجازا ، وقيل : انه اراد حقيقة
المنطق ، لان من الطير ما له كلام مهجي
كالطيطوي ، قال المبرد : العرب تسمي كل مبين
نفسه ناطقا ومتكلما ، قال رؤبة :

لو انني اعطيت علم الحكل
علم سليمان كلام النمل

والحكل : ما لا يسمع له صوت . وقال علي بن عيسى : ان الطير كانت تكلم سليمان معجزة له ، كما اخبر عن الهدهد ، ومنطق الطير : صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة ، بخلاف منطق لم نفهم عنها ـ مع طول مصاحبتها ـ ولم تفهم عنا هي لان افهامها مقصورة على تلك الامور المخصوصة . ولما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها .

وفي البحار عن الخرايج : روى ان الحسين عليه السلام سئل في حال صغره عن اصوات الحيوانات ، لان من شرط الامام ان يكون عالما بجميع اللغات حتى اصوات الحيوانات فقال على ما روى محمد بن ابراهيم بن الحارث التميمي عن الحسين عليه السلام انه قال :

اذا صاح النسر فانه يقول : يا ابن آدم عش ما شئت فآخره الموت .

واذا صاح البازي يقول : يا عالم الخفيات ويا كاشف البليات .

واذا صاح الطاووس يقول : مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفر لي .

واذا صاح الدراج يقول : الرحمـــن على العرش استوى .

واذا صاح الديك يقول : من عرف الله لم ينس ذكره .

واذا قرقرت الدجاجة تقول : يا اله الحق انت الحق وقولك حق يا الله يا حق .

واذا صاح الباشق يقول : آمنت بالله واليوم الآخـــر .

واذا صاحت الحداة تقول : توكل على الله تـــرزق .

واذا صاح العقاب يقول : من اطاع الله لم يشق .

واذا صاح الشاهين يقول لا اله الا الله حقا حقـــا .

واذا صاحت البومة تقول : البعد من الناس انـــس .

واذا صاح الغراب يقول : يا رازق ابعث الرزق الحلال ٠

واذا صاح الكركي يقول : اللهم احفظني من عـــدوي ٠

واذا صاح اللقلق يقول : من تخلى عن الناس نجا من اذاهم ٠

واذا صاحت البطة تقول : غفرانك يا الله ٠

واذا صاح الهدهد يقول : ما اشقى من عصى اللـــه ٠

واذا صاح القمـــري (وهو طائـــر حســـن الصوت والذكر منه ساق حر) يقول : يا عالـــم السر والنجوى يا الله ٠

واذا صاح الدبسي (طائر صغير من نوع الحمام البري قيل : هو ذكر اليمام) يقول : انت الله لا اله سواك يا الله ٠

واذا صاح العقعـــق يقول : سبحان اللـــه سبحان من لا يخفي عليه خافية ٠

واذا صاح الببغاء يقول من ذكر ربه غفـــر ذنبـــه ٠

واذا صاح العصفور يقول : استغفر اللـــه مما يسخط الله ·

واذا صاح البلبل يقول : لا اله الا الله حقا حقـــا ·

واذا صاحت القبجة تقول قرب الحق قرب ·

واذا صاحت السماناة تقول : يا بان آدم ما اغفلك عن الموت ·

واذا صاح السوذنيق (وهو الصقر او نوع منه) يقول : لا اله الا الله محمد وآله خيرة الله ·

واذا صاحت الفاختة تقول : يا واحد يا احد يا فرد يا صمد ·

واذا صاح الشقراق يقول : مولاي اعتقني من النار ·

واذا صاحت القنبرة تقول : مولاي تب على كل مذنب من المذنبين ·

واذا صاح الورشان يقول : ان لم تغفر ذنبي شقيت ·

واذا صاح الشفنيـــن (عده الجاحظ مـــن الحمام ، وصوته في الترنيم كصوت الرباب وفيه

تحزين) يقول : لا قوة الا بالله العلي العظيم ٠

واذا صاحت النعامة تقول : لا معبود سوى الله ٠

واذا صاحت الخطافة فانها تقرأ سورة الحمد وتقول : يا قابل توبة التوابين يا الله لك الحمد ٠

واذا صاحت الزرافة تقول : لا اله الا الله وحده ٠

واذا صاح الحمل يقول : كفى بالموت واعظا ٠

واذا صاح الجدي يقول عاجلني بالموت ثقل ذنبي وازداد ٠

واذا صاح الاسد يقول : امر الله مهم مهم ٠

واذا صاح الثور يقول : مهلا مهلا يا ابن آدم انت بين يدي من يرى ولا يرى وهو الله ٠

واذا صاح الفيل يقول : لا يغني من الموت قوة ولا حيلة ٠

واذا صاح الفهد يقول : يا عزيز يا جبار يا متكبر يا الله ٠

واذا صاح الجمل يقول : سبحان مذل الجبارين سبحانه ·

واذا اصهل الفرس يقول سبحان ربنا سبحانه ·

واذا صاح الذئب يقول : ما حفظ الله لن يضيع ابدا ·

واذا صاح ابن آوى يقول : الويل الويل للمذنب المصر ·

واذا صاح الكلب يقول : كفى بالمعاصي ذلا ·

واذا صاح الارنب يقول : لا تهلكني يا الله لك الحمد ·

واذا صاح الثعلب يقول : الدنيا دار غرور ·

واذا صاح الغزال يقول : نجني من الاذى ·

واذا صاح الكركدن يقول : اغثني والا هلكت يا مولاي ·

واذا صاح الايل يقول : حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله ·

واذا صاح النمر يقول : سبحان من تعزز بالقدر سبحانه ·

واذا اسبحت الحيـة تقول : ما اشقـى من عصاك يا رحمن ٠

واذا اسبحت العقرب تقول : الشـر شيء وحش ٠

ثم قال عليه السلام : ما خلق الله من شيء الا وله تسبيح يحمد به ربه ، ثم تلا هذه الآية : (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ٠

وفي الاختصاص قال ابـن عباس : شهدنا مجلس امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه فاذا انحن بعدة من العجم فسلموا عليه فقالوا : جئناك لنسألك عن ست خصال ، فان انت اخبرتنا آمنا وصدقنا ، والا كذبنا وجحدنا ، فقال علي عليـه السلام سلوا متفقهيـن ولا تسألوا متعنتيـن ، قالوا اخبرنـا ما يقول الفـرس في صهيله ، والحمار فينهيقه ، والدراج في صياحه ، والقنبـرة في صفيرهـا ، والديك في نعيقـه ، والضفدع في نقيقه ، فقال علي عليه السلام : اذا التقـى الجمعان ومشـى الرجال الى الرجـال بالسيوف يرفع الفرس رأسه فيقول : سبحـان الملك القدوس ، ويقول الحمار في نهيقه : اللهم

العن العشارين ، ويقول الديك في نعيقه بالاسحار : اذكروا الله يا غافلين ، ويقول الضفدع في نقيقه : سبحان المعبود المسبح في لجج البحار ، ويقول الدراج في صباحه الرحمن على العرش استوى ، وتقول القنبرة في صفيرها : اللهم العن مبغضي آل محمد ٠

قال : فقالوا : آمنا وصدقنا ، وما على وجه الارض من هو اعلم منك ، فقال عليه السلام : افلا افيدكم ؟ قالوا : بلى يا امير المؤمنين فقال : ان للفرس في كل يوم ثلاث دعوات مستجابة : يقول في اول نهاره اللهم وسع على سيدي الرزق ، ويقول في وسط النهار : اللهم اجعلني احب الى سيدي من اهله وماله ، ويقول في آخر نهاره : اللهم ارزق سيدي على ظهري الشهادة ٠

اعلم ان طلب المحتاج الى المحتاج سفه بالرأي وضلة من العقل ، فان فاقد الشيء لا يعطيه ، وكيف يصح في الوجدان صدور العطاء من المعدم ، وحصول الرفد من المسترفد ٠ او ليس من الوهن ان تلتمس من الميت الحياة ، وان تأخذ من الظلام الضياء ، لست اخال يصدق هذا عاقل ٠

فاخلص انقطاعك اليه ، وليكن اقبالك بكلك عليه ، واصرف وجهك عمن سواه ، يعطك سؤلك ويبلغك مناك ، فان العزيز من اعتز به ، وان الغني من افتقر اليه ·

وعن الامام زين العابدين عليه السلام قال : كان امير المؤمنين (ع) يقول : انما الدهر ثلاثة ايام انت فيما بينهن : مضى امس بما فيه فلا يرجع ابدا ، فان كنت عملت فيه لم تحزن لذهابه وفرحت بما استقبلته منه · وان كنت قد فرطت فيه فحسرتك شديدة لذهابه وتفريطك فيه ·

وانت في يومك الذي اصبحت فيه من غد في غرة ، ولا تدري ولعلك لا تبلغه ، وان بلغته لعل حظك فيه ـ في التفريط ـ مثل حظك في الامس الماضي عنك ·

فيوم من الثلاثة قد مضى انت فيه مفرط ، ويوم تنتظره لست انت منه على يقين من ترك التفريط ·

وانما هو يومك الذي انت فيه ·

وقد ينبغي لك ان عقلت وفكرت فيما فرطت

في الامس الماضي مما فاتك فيه من حسنات الا تكون اكتسبتها ، ومن سيئات الا تكون اقصرت عنها ، وانت مع هذا من استقبال غد على غير ثقة من ان تبلغه ، وعلى غير يقين من اكتساب حسنة او مرتدع عن سيئة محبطة ، فأنت من يومك الذي تستقبل على مثل يومك الذي استدبرت ، فاعمل عمل رجل ليس يأمل من الايام الا يومه الذي اصبح فيه وليلته ، فاعمل أو دع ، والله المعين على ذلك ٠

ومعلوم ٠٠ ان المراد بامس ؟ ليس خصوص اليوم الذي فات قبل يومك الحاضر الذي انت فيه ، بل انه يقصد به مطلق الماضي ، فكل يوم مضى ولم تعد تقدر عليه ـ سواء كان قريبا او بعيدا ـ فقد اريد به امس ٠

وكذلك المراد بقول غد ، لا يقصد به يوم بعينه ، اي اليوم الذي يأتي عقيب يومك هذا ، بل مطلق الايام المستقبلة التي لم تصل اليها بعد ٠

فيكون قولنا : امس واليوم وغد قوة قولنا : ماض وحاضر ومستقبل فالايام ثلاثة : امس ٠٠ هو ما مضى ولا يمكن تلافي التقصير والتفريط فيه ابدا ، وليس من حيلة الا الندم والحرقة ، ولا

فائدة في ذلك · وغد وهو المستقبل ، فلا تدري هل انت مدركه ام لا ، فلا تشغل نفسك به الا بنية خير · واليوم الحقيقي هو يومك الحاضر ، فانظر كيف انت فيه ·

فان اعتبرت بالماضي ، ووجدت انك لا تشعر بلذاته ولا بالامه مع انك قريب العهد بها ، وقد باشرتها وتذوقتها ، فكيف بلذات وآلام لم يمـر عليك شيء منها بعد ــ واعني بها لذات المستقبل وآلامه ــ فلا تهتم بها ان كنت عاقلا ·

بل يجدر بـك ان تبادر الفرصة في يومـك الحاضر ·

واعمل بقدر الامكان عملا يعود عليك نفعه ، فان الناس مجزيون بأعمالهم ·

وفي النهج : روى شريح بن الحارث قاضي امير المؤمنين عليه السلام اشترك على عهـده دارا بثمانين دينارا ، فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له : بلغني انك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا واشهدت فيه شهودا ، فقال شريح : قد كان ذلك يا امير المؤمنين · قال : فنظر اليه مغضب ثم قال له : يا شريح اما انه سيأتيك من لا ينظر في

كتابك ، ولا يسألك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا ، ويسلمك الى قبرك خالصا ، فانظر يا شريح ، لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك ، او نقدت الثمن من غير حلالك ، فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة ، اما انك لو اتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتب لك كتابا ـ على هذه النسخة ـ فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق ·· والنسخة :

هذا ما اشترى عبد ذليل من عبد قد ازعج للرحيل ، اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين ، وخطة الهالكين ، ويجمع هذه الدار حدود اربعة : الحد الاول ـ ينتهي الى دواعي الآفات ، والحد الثاني ـ ينتهي الى دواعي المصيبات ، والحد الثالث ـ ينتهي الى الهوى المردي ، والحد الرابع ـ ينتهي الى الشيطان المغوي ، وفيه يشرع باب هذه الدار ·

اشترى هذا المغتر بالامل من هذا المزعج بالاجل ، هذه الدار بالخروج من عز القناعة ، والدخول في ذل الطلب والضراعة ، فما ادرك هذا المشترى من درك فعلى مبلبل اجسام الملوك ،

وسالب نفوس الجبابرة ، ومزيل ملك الفراعنة ، مثل كسرى وقيصر ، وتبـع وحمير ، ومن جمع المال على المال فاكثر ، وبنـى فشيد ، وزخرف ونجد ، وادخر واعتقد ، ونظر بزعمه للولـد ، اشخاصهم جميعا الى موقف العرض والحساب ، وموضع الثواب والعقاب ، اذا وقع الامر بفضل القضاء ، وخسر هنالك المبطلون ٠

شهد على ذلك العقـل اذا خرج من اسـر الهوى ، وسلم من علائق الدنيا ٠

وقال عليه السلام : ان اولياء الله هم الذين نظـروا الى باطـن الدنيا اذا نظـر الناس الى ظاهرها ، واشتغلوا بآجلها اذا اشتغـل الناس بعاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا ان يميتهـم ، وتركـوا منها ما علموا انه سيتركهـم ، ورأوا استكثـار غيرهـم منهـا استقلالا ، ودركهـم لها فوتا اعداء ما سالم الناس ، وسلم ما عادى الناس ٠ بهم علم الكتاب وبه علموا ، وبهم قام الكتاب وبه قامـوا ٠ لا يرون مرجـوا فوق ما يرجون ، ولا مخوفا فوق ما يخافون ٠

فقد ميز عليـه السلام الاولياء ـ في هذه

الجمل ـ بصفات عشر : احداهما ـ انهم نظروا الى باطن الدنيا : اي حقيقتها ، وغرض الحكمة الالهية من وجودها ؟ فعملوا فيها على حسب علمهم اذا نظر الناس الى ظاهرها من زينتها وقنياتها ..

فان للدنيا ظاهر وباطن : ظاهر خادع كاذب من نظر اليه وحده شغل به قلبه ، وانصرف عن اخرته ومصيره ، ومن نظر الى باطنها وهو واقعها الحقيقي ، فانما هي كالحية ؟ لينة المس وفي داخلها السم الناقع ، ومتى عرف العاقل هذا منها اتخذها وسيلة الى سعادته الابدية ، كما فعل اولياء الله واحباؤه .

الثانية ـ واشتغلوا بآجلها : اضافة الآجل ـ من حيث اللفظ ـ تعود الى الدنيا ، ومن حيث المعنى تعود الى الآخرة لانها تأتي بعدها ، والمعنى ان الصلحاء لا يتنافسون على الدنيا ، ولا يثيرون القلاقل والفتن بين الناس ، ولا يحارب بعضهم بعضا من اجلها ، بل جعلوا نصب اعينهم غرضا مقصودا منها ـ ثمرة للاستعداد بها ـ وهو ثواب الله ورضوانه ، اذا اشتغل الناس بعاجلها وحاضر لذاتها .

الثالثة ـ اماتوا منها ما خشوا أن يميتهم :
كالطمع والجشع ، والحقد والنفاق ، وغير ذلك كقوة الشهوة والغضب التي يخشون ان تميت فضائلهم ، او نفوسهم الامارة بالسوء التي يخشى من غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه في الآخرة ، وقد يقصد بما اماتوه · مقتنياتها ، فيكون استعارة ، فكأنهم لما رفضوها وتركوها ولم يلتفتوا اليها قد اماتوها ، ولم يبق لها حياة عندهم ·

الرابعة ـ وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم : وهو زينتها ومقتنياتها ، لان كل ما زاد عن حاجتك فأنت تاركه لغيرك بالموت لا محالة ، وهو ايضا تاركك بطبيعة الحال ، لانك لا تنفق منه شيئا ، واذن فعلام تكد نفسك في طلبه ؟ نعم اذا اردت به وجه الله وخدمة عياله وعباده ؟ فيكون لك حينئذ ذخرا في آخرتك ، واجرا كريما عند ربك ·

الخامسة ـ رأوا استكثارهم منها استقلالا ، ودركهم لهافوتا : اي استقلالا من الخير الباقي وفوتا له ؟ اذ كان دركها والاستكثار منها سببا لذلك ، فان الغالب على الانسان انه كلما كثر ماله

شمخت به نفسه ، واستعلى على غيره فقل خيره ، وكلما ادرك شيئا من دنياه فاته الكثير من دينه ، بل قل : كلما اسرف في الماديات ازداد بعدا عن الروحيات ٠

السادسة ــ اعداء ما سالم الناس وهي الدنيا ، وسلم ما عادى الناس : وهي الآخرة ، فان المترفين يعادون الحق ؟ لانه حرب على اطماعهم ، والاولياء يناصرون الحق ؟ لانه لا نصير لهم سواه ٠ والمترفون يناصرون الباطل والضلال ، لانه يشبع رغباتهم ، والاولياء حرب عليه وعليهم ٠

٠ السابعة ــ بهم علم الكتاب : لحفظهم اياه وتفقههم له وافادتهم به ، وبه علموا : لاشتهارهم به عند الناس ٠ او انهم استمدوا علمهم من كتاب الله ، واذا عوه على الناس ٠

الثامنة ــ وبهم قام الكتاب : اي سارت احكامه قائمة في الخلق معمولا بها ، او انهم اقاموا الدليل القاطع على صدقه وحجته ، وبه قاموا : اي بأوامره ونواهيه وبما ينبغي له ، ومن المحتمل ان يريد ان قيامهم في معاشهم ومعادهم ببركته ، بل ان العالم ــ حقا وواقعا ــ هو الذي

تعلم وعلم وعمل • وهذه هي خلة المؤمن الولي والعالم التقي •

التاسعة ـ لا يرجوا فوق ما يرجون : من ثواب الله ، لانهم لا يرجون شيئا الا الصفح والرحمة من الله ، ولا ، يخافون مخوفا فوق ما يخافون : من عذاب الله والحجب عنه ، اذ لا يخافون الا من عذابه وسخطه ، والخوف من الله رقيب الاعمال ، ورجاء الرحمة من الله نعم الشفيع الى رضوانه ، ففي الكافي عن الباقر عليه السلام قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو على منبره : والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن خير الدنيا والآخرة الا بحسن ظنه بالله ، ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين • والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله ، وتقصيره من رجائه ، وسوء خلقه ، واغتيابه للمؤمنين • والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لان الله كريم ، بيده الخيرات ، يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف

ظنه ورجاءه ، فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه ٠

وعن الرضا عليه السلام : احسن الظن بالله فان الله عز وجل يقول : انا عند ظن عبدي المؤمن بي ، ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ٠

والويل كل الويل لمن ظن بالله ظن السوء ، كيف والله تعالى يقول : (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا) (١) ٠ وقال الشارح المعتزلي : هذا يصلح ان تجعله الامامية شرح حال الائمة المعصومين على مذهبهم ، لقوله : فوق ما يرجون بهم علم الكتاب وبه علموا ٠

واما نحن ٠٠ فنجعله شرح حال العلماء العارفين ، وهم اولياء الله الذين ذكرهم عليه السلام : لما نظر الناس الى ظاهر الدنيا وزخرفها ، من المناكح والملابس والشهوات الحسية ؟ نظروا هم الى باطن الدنيا ، فاشتغلوا بالعلوم والمعارف ، والعبادة والزهد في الملاذ الجسمانية ؟ فأماتوا من شهواتهم ، وقواهم المذمومة كقوة

---

(١) الفتح ٦ ٠٠

الغضب وقوة الحسد ٠٠ ما خافوا ان يميتهم ٠ وتركوا من الدنيا اقتناء الاموال ؟ لعلمهم انها ستتركهم ، وانه لا يمكـن دوام الصحبة معها ؟ فكان استكثار الناس من تلك القنيات استقلالا عندهم ، وبلوغ الناس لهافوتا ـ ايضا ـ عندهم ، فهم خصم لما سالمه الناس من الشهوات ، وسلم لما عاداه الناس من العلوم والعبادات ، وبهم علم الكتاب لانـه لولاهـم لمـا عرف تأويـل الآيات المتشابهات ، ولأخذهـا الناس على ظواهرهـا فضلوا ، وبالكتاب علموا ، لان الكتاب دل عليهم ، ونبه الناس على مواضعهم ، نحو قوله : (انما يخشى الله من عباده العلماء) (١) وقوله : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (٢) وقوله : (ومن يؤت الحكمـة فقد اوتي خيـرا كثيرا) (٣) ونحو ذلك من الآيات التي تنـادي اليهم ، وتخطب بفضلهم ٠ وبهم قام الكتاب ٠٠ لانهم قرروا البراهين على صدقه وصحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل (ع) ٠

ولولاهم لم يقـم على ذلك دلالة للعـوام ، وبالكتاب قاموا ٠٠ اي باتباع أوامر الكتاب وآدابه

(١) فاطر ٢٨ ٠٠ (٢) الزمر ٩ ٠٠ (٣) البقرة ٢٦٩ ٠٠

قاموا ، لانه لولا تأدبهم بآداب القران وامتثالهم أوامره لما اغنى عنهم علمهم شيئا ، بل كان وباله عليهم • ثم قال : انهم لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون •• وكيف لا يكونون كذلك ، ومرجوهم مجاورة اللـه في حظائر قدسه ، وهل فوق هذا مرجو لراج ، ومخوفهم سخط الله عليهم وابعادهم عن حلمه ، وهل فوق هذا مخوف لخائف • انتهى كلامه •

قلت : ان ما تبادر الى فكره من كون هذا الكلام شرح حالة الائمة المعصومين عليهم السلام فهو حق وصدق لايصح العدول عنه ، وقد اجراه الله على لسانه وسنان قلمه ليكون حجة عليه ؟ اذ انه لم يقل هذا القول الا وهو معترف بوجود هذه الصفات والالقاب فيهم عليهم السلام ، وانهم لا ينفكون عنها ولا تنفك عنهم ، كيف وهم عدل القرآن وفي بينهم نزل ، وهم حفظة الوحي وعلى جدهم نزل الروح الامين ، وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وهم اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا •

ولنعم ما قيل فيهم صلى الله عليهم :

اليكـــم والا لا تشد الركائب

ومنكـــم والا لا تنال المواهب

وعنكـــم والا فالحديث ملفــق

وفيكـــم والا فالمحـــدث كاذب

ويا ليت هذا الرجل عرف اعيان واشخاص بعض العارفين والاولياء غيرهم صلـــوات الله عليهم ممن حازوا هذه الصفات حتى نعرفهـــم وندرس حالـهم • بل لو كان عرفهم لعرفهم ولم يبخل علينا بمعرفتهم ، ولذا فقد اكتفى بوصفهم العام ، وذكرهم على وجه الابهام • مع انه هو القائل في امير المؤمنين عليه السلام وهو اولهم ووالدهم •

وخلافة ما ان لها لو لم تكـــن

منصوتة عن جيد مجيدك معدل

عجبا لقوم اخروك وكعبك العـــ

ـــالي وخد سواك أضرع اسفل

عجبا لهذي الارض يضمر تربها

اطواد مجدك كـــيف لا تتزلزل

عجبـا لافلاك السماء يفوتهـا

نظر لوجهك كـيف لا تتهيـــل

يا ايهـا النبأ العظيـم فمهتـد

في حبـة وغـواة قـوم ضـلل

يا ايهـا النار التي شب السنا

منهـا الموسى والظلام مجـلل

يا فلـك نوح حيث كل بسيطـة

بحـر يمور وكل بحر جـدول

يا وارث التوراة والانجيل والـ

فرقـان والحكم التي لا تعقـــل

لولاك ما خلق الزمان وما دجـا

غب بتلاج الفجـر ليـل اليـل

ان كان دين محمد فيه الهدى

حقـا فحبك بابـه والمدخـــل

وهو القائل فيه ايضا :

والله لولا حيدر ما كانت الـد

نيا ولا جمـع البريـة مجمـع

واليه في يوم المعـاد حسابنا

وهو الملاذ لنا غـدا والمفـزع

وفي نور الابصار : اوردهـا صاحب كتاب تاريخ نيسابور ان عليا الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق ، تعرض له الامامان الحافظان ابو زرعة وابو مسلم ، ومعهما من اهل العلم والحديث ما لا يحصى ، فقالا : يا ايها السيد الجليل ابن السادة الائمة بحق آبائك الاطهرين واسلافك الاكرمين الا ما اريتنا وجهك الميمون ، ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك نذكرك به ، فاستوقف غلمانه ، وامر بكشف المظلة ، واقر عيون الخلائق برؤية طلعته ، واذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه ، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ، ما بين باك وصارخ ، ومتمرغ بالتراب ، ومقبل حافر بلغته ، وعلا الضجيج فصاحت الائمة الاعلام : معاشر الناس انصتوا ، واسمعوا ما ينفعكم ، ولا تؤذونا بصراخكم . وكان المستملي ابا زرعة ومحمد ابن مسلم الطوسي ، فقال علي (ع) : حدثني ابي موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه

محمد الباقر عن ابيه علي زين العابدين عن ابيه شهيد كربلاء عن ابيه علي المرتضى قال : حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : حدثني جبريل عليه السلام ، قال : حدثني رب العزة سبحانه وتعالى قال : كلمة لا اله الا الله حصني فمن دخل امن من عذابي • ثم ارخى الستر على المظلة وسار • قال : فعد اهل المحابر واهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنالوا على عشرين الفا • قال احمد (رض) : لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لافاق من جنونه • وقال ابو القاسم القشيري : اتصل هذا الحديث ـ بهذا السند ـ ببعض امراء السامانية ، فكتبه بالذهب ، واوصى ان يدفن معه في قبره ، فرؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ، قال : غفر لي بتلطفي بلا اله الا الله وتصديقي ان محمدا رسول الله • اورده المناوى في شرحه الكبير على الجامع الصغير وغيره •

وفي الامالي قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تنفلوا في ساعة الغفلة ، ولو بركعتين خفيفتين ، فانهما تورثان دار الكرامة ،

قيل : يا رسول الله وما ساعة الغفلة ؟ قال : بين المغرب والعشاء .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : من تظاهرت عليه النعم فليقل : الحمد لله رب العالمين ، ومن الح عليه الفقر فليكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فانه كنز من كنوز الجنة ، وفيه شفاء من اثنين وسبعين داء ادناها الهم .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام ، وعنى نفسه بالصيام والقيام ، قالوا : بآبائنا وامهاتنا يا رسول الله ، هؤلاء اولياء الله ؟ قال : ان اولياء الله سكتوا فكان بسكوتهم ذكرا ، ونظروا فكان نظرهم عبرة ، ونطقوا فكان نطقهم حكمة ، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة ، لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم ، خوفا من العذاب وشوقا الى الثواب .

وعن الصادق عليه السلام : من كف اذاه

عن جاره اقاله الله عز وجل عثرته يوم القيامة ، ومن عف بطنه وفرجه كان في الجنة ملكا محبورا ، ومن اعتق نسمة مؤمنة بنى الله عز وجل له بيتا في الجنة ٠

وتذاكر الناس عنده الفتوة ، فقال : اتظنون ان الفتوة بالفسق والفجور ، كلا ، ان الفتوة طعام موضوع ، ونائل مبذول ، واصطناع المعروف ، واذى مكفوف ، فاما تلك فشطارة وفسق ٠ ثم قال : ما المروة ؟ فقلنا : لا نعلم ، قال : المروة ، والله ، ان يضع الرجل خوانه بفناء داره ٠ والمروة مروتان : مروة في الحضر ، ومروة في السفر ٠ فاما التي في الحضر : فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد، والمشي مع الاخوان في الحوائج والانعام على الخادم ، فانه مما يسر الصديق ويكبت العدو ٠ واما التي في السفر : فكثرة الزاد ، وطيبه ، وبذله لمن كان معك ، وكتمانك على القوم سرهم بعد مفارقتك اياهم ، وكثرة المزاح في غير ما يسخط الله عز وجل ٠ ثم قال عليه السلام : والذي بعث جدي صلي الله عليه وآله وسلم بالحق نبيا ان الله عز وجل ليرزق العبد على قدر المروة ، وان المعونة لتنزل من السماء على قدر المؤنة ، وان الصبر لينزل على قدر شدة البلاء ٠

وعن الاصبغ بن نباتة قال : سمعت علي بن ابي طالب عليه السلام يقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صفة المؤمن ، فنكس رأسه ثم رفعه فقال : في المؤمنين عشرون خصلة : فمن لم تكن فيه لم يكمل ايمانه ، يا علي ان المؤمنين هم الحاضرون للصلاة ، والمسارعون الى الزكاة ، والحاجون لبيت الله الحرام ، والصائمون في شهر رمضان، والمطعمون المسكين، والماسحون رأس اليتيم ، المطهرون اظفارهم . المتزرون على اوساطهم الذين ان حدثوا لم يكذبوا، واذا وعدوا لم يخلفوا ، واذا أئتمنوا لم يخونوا ، وان تكلموا صدقوا ، رهبان بالليل ، اسد بالنهار، صائمون بالنهار ، قائمون بالليل ، لا يؤذون جارا ولا يتأذى بهم جار ، الذين مشيهم على الارض هونا ، وخطاهم الى بيوت الارامل ، وعلى اثر الجنائز . جعلنا واياكم من المتقين .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله تبارك وتعالى اوحى الي : انه جاعل لي من امتي اخا ووارثا وخليفة ووصيا ، فقلت : يا رب من هو ؟ فأوحى الي عز وجل : يا محمد انه امام امتك ، وحجتي عليها

بعدك ، فقلت : يا رب من هو ؟ فأوحى الي عز وجل : ذاك من احبه ويحبني ، ذاك المجاهد في سبيلي ، والمقاتل لناكثي عهدي والقاسطين في حكمي والمارقين من ديني ، ذاك وليي حقا ، زوج ابنتك ، وابو ولدك ، علي بن ابي طالب ٠

من كلام امير المؤمنين عليه السلام : اكرم الحسب حسن الخلق ٠ ومعلوم ٠٠ ان المراد من الحسب الشرف ٠ وينقسم الشرف الى تليد ٠٠ وهو ما يحويه من المآثر عن طريق الوراثة ـ كأن تكون اسلافه امجادا ـ وهو ما يسمونه الحسب القريب ، اذ بمجرد انتسابه الى البيت او القبيلة يقال له : حسبك، لانه عرف انه عريق في الشرف، وقد يكون غير معروف ولكن بعض اجداده كان له ذلك الشرف والاعتبار ، فيحتاج هذا المنتسب الى تعداد جملة من آبائه حتى ينتهي الى ذلك الشريف، وهذا ما يسمى بالحسب البعيد ٠

وعير رجل سقراط بخمول نسبه ، وكان آباء ذلك الرجل من ذوي المناصب العالية والرتب الرفيعة ، فقال سقراط : اليك انتهى مجد قومك بي ابتدأ مجد قومي ، فانا فخر قومي وانت عار قومك ٠

والى طارف ٠٠ وهو ان يتصف بصفات او تصدر اعمال منه تدل على اهليته لذلك ٠ وقد يضيفون المال اليه ، فينقسم الطريف اذن الى ما يعد من مآثر الصفات وكريم الفعال ، والى الكفاية من المال وما يجرى مجراه ٠

والخلق الحسن : هو افضل مناقب العبودية ، واعلى مراتب الانسانية ، لانه يظهر جواهر الرجال ٠

فمن اراد الاتصاف بأحسن الشمائل ، وافضل الشيم ، واجمل الصفات فليجتهد في تحسين اخلاقه وتصفية احواله ٠ فان حسن الخلق اصل جامع لجميع الكمالات الانسانية ، وسبب كامل لفيضان الكرامات الالهية ، ولقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق ٠ ورد في تفسير قوله تعالى : (وثيابك فطهر) (١) اي وخلقك فحسن ٠

وانت عليم ٠٠ ان اصول الفضائل الخلقية ثلاثة : الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ٠ وعلى

---

(١) المدثر ٤ ٠٠

مجموعها يطلق أسم العدالة · وهذه أن كانت ملكة متأصلة في النفس فلا اعلى ولا اسمى منها ، وان لم تكن ملكة متأصلة فعلى الانسان الراغب في الكمال ان يجتهد في تحصيلها والمرونة عليها لتثبت وتتأصل به ، ومتى تم له ذلك فقد كرم حسبه ·

على اننا نستطيع القول ان مكارم الاخلاق والفضائل النفسية سبب للسعادة الباقية ، وان كان المال سبب للسعادة الفانية ، ولكن بشرط استعمالها في مواردها ، والوقوف عندحدودها ، اذ الافراط في الحكمة والعفة معناه البله والغفلة والتقصير بهما معناه العجلة وعدم الثبات ، بل والدناءة · والافراط في الشجاعة معناه التهور ، والتقصير هو الجبن وكذلك المال ، فان امساكه بخل ، وانفاقه في كل وجه اسراف وتبذير · والاقتصاد في كلا الامرين هو الصحيح ·

ولنعم الحسب ·· اذا ما استعملت الاخلاق والاموال في سبيل السعادة الاخروية ، وابتغاء ما عند الله ، فان ذلك ممكن بتوفيق لله والعزم والاخلاص اليه ، قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة

ربه احدا) (١) وقال عز من قائل : (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا) (٢) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب ما فيه وهو القلب : وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها : فان سنح له الرجاء اذ له الطمع ، وان هاج به الطمع اهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الاسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان اسعده الرضا نسي التحفظ ، وان ناله الخوف شغله الحذر ، وان اتسع له الامن استلبته الغرة ، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان افاد مالا اطغاه الغنى ، وان عضته الفاقة شغله البلاء ، وان جهده الجوع قعد به الضعف ، وان افرط به الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له مفسد .

قلت : انما سمي الانسان ـ بنفسه ـ عالما لان فيه ما في العالم اجمع ، وهذا ان لم يكن بالجسم والصورة ففي المعنى والتطبيق ، وذلك ان من الناس من هو غادر كالذئب ، او محتال

---

(١) الكهف ١١٠ .. (٢) الكهف ٤٦ ..

كالثعلب ، او شجاع كالاسد ، او متملق كالهر ، بل ما من غريزة من غرائز الحيوان على كثرتها واختلافها الا وهي موجودة في نبي البشر • اذا عرفت هذا فاعلم •• ان في داخل الانسان الكثير من العناصر والغرائز • ومنها ما هو عقلي فكري ، ويعبر عنها بالمنطق العقلي ، وعنها ينبعث العلم والمعرفة •

ومنها عناصر قلبية وعاطفية ، ويعبر عنها بالمنطق العاطفي ، وعن هذا المنطق تصدر الشهوات والميول •

وبالنظر لاجتماع هذين المنطقين في الجسم الواحد فلا بد وان يقع الصراع والتغالب بينهما • ولرغبة النفس الملحة في هذه الميول فربما تغلبت العاطفة ــ وهذا في الاكثر الاغلب ــ على العقل ، فيصاب بالشلل ، ويتعطل عن العمل في الجهة التي غلب فيها على امره ، فتنزو هذه الرغبات وتلعب بالانسان فتؤدي به الى مالا تحمد عقباه •

واكثر افعال الانسان وحركاته تصدر عن العاطفة لا من العقل ، والذين يحفظون التوازن بين المنطقين دون ان يطغى احدهما على الآخر هم

اقل من القليل ، لان عملية التعادل هنا عسيرة جدا وشائكة ، ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم من العقل قوله عليه السلام : (لقد علق بنياط هذا الانسان الخ) ٠

قال في لسان العرب : نياط كل شيء معلقه ، كنياط القوس والقربة ، تقول : نطت القربة بنياطها نوطا ٠ ونياط القوس : معلقها ٠ والنياط : الفؤاد ٠ والنياط عرق علق به القلب من الوتين ؛ فاذا قطع مات صاحبه ، وهو النيط ايضا ، ومنه قولهم : رماه الله بالنيط ، اي بالموت ٠ ويقال للارنب مقطعة النياط ، كما قالوا : مقطعة الاسحار ٠ ونياط القلب : عرق غليظ نيط به القلب الى الوتين ، والجمع انوطة ونوط ٠ وقيل : هما نياطان ، فالاعلى نياط الفؤاد ، والاسفل الفرج ٠ انتهى ٠

وفي مجمع البحرين عن بعض اهل التحقيق : ان القلب يطلق على معنيين : احدهما ــ اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص ، وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم اسود ، وهو منبع الروح ومعدنه وهذا المعنى ــ من القلب ــ موجود

للبهائم ، بل للميت ايضا ٠

المعنى الثاني ـ لطيفة ربانية روحانية لهـا بهذا القلب تعلق ، وتلك اللطيفة هي المعبر عنها بالقلب تارة ، وبالنفس اخرى ، وبالروح اخرى ، وبالانسان ايضا ٠

وهو المدرك العالم العارف ، وهو المخاطب والمطـالب والمعـاقب ٠ وله علاقـــة مع القلب الجسداني ٠

وقد تحير اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته ، وان تعلقه يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام ، او الاوصاف بالموصوفات ، او تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، او تعلــق المتمكن بالمكان ، وشبه ذلك ٠ انتهــى ٠

والظاهر من كلامه عليه السلام ان الغرائز والقرائــح البشريــة منبعثـــة من هذا القــلب الصنوبري الذي هو بضعة معلقة بالنياط ، ولم يصرح في كلامه عليه السلام بما رآه حكمة او مادة لها ٠ فان الالفاظ التي وقعت فه كلامــــه اكثرها يدل على الغرائــز الحيوانيـــة ، وعلى الرذائل الانسانيــة ، وهي : الرجاء ، والطمع ،

والحرص ، واليأس ، والاسف ، والغضب ، والغيظ ، والرضا ، والتحفظ ، والحذر ، والخوف ، والامن ، والغرة ، والجزع ، والطغيان ، والغنى ، والفاقة ، والجوع ، والضعف ، والشبع ، والبطنة ٠

فمن بين هذه الالفاظ يطلق الرجاء ، التحفظ والحذر ، والخوف ، على معاني محمودة في علم الاخلاق والاخبار ٠ واما سائرها ـ فتدل على معاني مذمومة واخلاق غير محمودة عند الحكماء الاخلاقيين ٠

على ان المقصود من الرجاء والخوف والحذر في كلامه ، ليس الرجاء لرحمة الله وغفرانه ، او الخوف من الله ، او الحذر من عذاب الله ، بل المقصود مطلق هذه الصفات التي تعرض للانسان بأسباب شتى ، فلا تعد مطلق الصفات هذه معدودة من الفضائل بل ولا محمودة ايضا ٠

ان قلت : اذا لم تكن هذه الامور من الحكمة ولا هي معدودة من الفضائل فلماذا اطلق الامام عليها كلمة الحكمة ٠

قلت : الحكمة هي وضع الشيء في موضعه المناسب له ، ولا يتصف الانسان بالحكمة الا اذا استعمل الاشياء في الامـور المشروعة العائدة بالنفع عليه وعلى غيره ، ولا تضر بالدين · اما عكس هذا فليس من الحكمة في شيء ·

فان الكرم لحب الشهرة ليس كرما ، والحلم عند الخوف لا يعد حلما : وضرب اليتيم للادب ليس كضربه تعديا لانه يتيم ، فان بين الحالتين فرق بعيد ، وان اتحـدا في الشكل والصورة · واطلق على هذه الامور كلمة الحكمة لان اللـه سبحانه ما خلقها في القلب عبثـا ، بل لحكمـة بالغـة ·

وهذه الغرائز وهذه الملكات وهذه الاخلاق يستطيع هذا الانسان ان يستعملها في امـور الدنيا ، ويستطيع ان يستعملها في امور الآخرة ·

واننا كثيرا ما نشاهد من يلتمس حاجة من مخلوق كيف يستخذى امامه ويستذل له ، ويكيل له عبارات المـدح والثناء استجداء لمعروفـه ، وطمعا في نائله ، مع انه مخلوق مثله ، وربمـا اسرف في مدحه كذبا وزورا ، فهو يبيع دينـه وضميره ، ويكذب وينافق في سبيل حطام قليل

زائل ، فهذا ممن سنح له الرجاء فأذله الطمع ، وان المؤمن العاقل لفي غنى عن هذه الضعة والخسة ، لانه انما يتوقع قضاء حوائجه من حيث توكله على الله وطلب التوفيق منه تعالى ، ولا بد من السعي والطلب من فضل الله والتعاون المتبادل بين الناس ٠

ولان الطامع يتعب جسمه بل ويفارق دينه في سبيل تحصيل مطلوبه فهو يخاف على ذهاب ما في يده ، ويكدح ليلا ونهارا في طلب المزيد ، ولذلك قال عليه السلام : (وان هاج به الطمع اهلكه الحرص) ٠

وربما خسر في تجارته ، او حصل لديه بعض العوائق دون امنيته فيستولي عليه اليأس فيقتله الاسف ٠

ولان من جملة الغرائز الكائنة في الانسان هو انه محب لذاته ويرى ان له حق التصرف في كل شيء فلذلك يرى ان الذي له حق ، وان الذي عليه ظلم ، فاذا ما حصل امر على خلاف ما يشتهيه غضب ، ومن طبيعته حب الانتقام فيشتد غيظه ، ويجهل قدر نفسه ، فلا يعود يرى ما بين يديه ، لان الغيظ هو شدة الغضب والتهابه ، وهو

مفتاح كل شر ، ولا ينجو من غائلته الا من جاهده بعقل كبير ، وكتمه بصبر وجلد ٠

كما وانه ان نال من الدنيا ما اراد انساه الرضا بما هو فيه التحفظ فأطلق العنان لشهواته واهوائه ، وذهل عن العواقب والمفاجآت وكذلك لو خاف ، فانه يحذر من كل شيء حتى ظله ، فانه يهرب منه ، وهذا من افظع انواع الخرق والجبن ، سيما انه يبعث على الجمود والخمول ، ويمنـع عن الحركة والعمل ٠

قوله عليه السلام : (وان اتسع له الامـن استلبته الغرة) يريد بالغرة الغفلة ، ومعناه اذا لم يكن ثمة خوف على نفسه وماله وكان في سعة من الحال ؟ اشتغل في شؤونه الدنيوية لاهيا عن كل شيء ، غير مفكر في العواقب غافلا عما يحدث في المستقبل ، ولا يزال هكذا حتى يفاجئه الموت بغتة ، او يحدث عليه من المفاجآت وعظائم الامور ما لم يكن في حسابه ، ولا طاقـة له به وهنالك الويل والثبور ٠ وباقي كلماته عليه السلام ظاهرة لا تحتاج الى البيان ٠

قيل : دخلت على الرشيد امرأة وقالت له :

اتــم الله امــرك ، وفرحك فيما اعطاك ، وزادك رفعة ، فلقد حكمت فقسطت ٠ (وكأن نفس الرشيد احست ببعض الشيء ، لانه اعرف بما صنــع ، وفي المثل : كاد المريب يقول خذوني) ٠

فالتفت الى ارباب دولته وقال لهم : هــل علمتم ما قالت هذه المرأة ؟ فقالوا : ما نراها الا داعية بالخير ٠ فقال : لا ، وانما هي تدعو علي ، ففي قولها : اتم الله امرك ، تريد به قول الشاعر :

اذا اتــم امــر بــدا نقصه
توقــع زوالا اذا قيــل تــم

واما قولها : وفرحك فيما اعطاك ، فهي تريد قوله تعالى : (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة) (١) ، واما قولها : زادك رفعة ، فانما تريد قول الشاعر :

مــا طــار طيــر وارتفــع
الا كمــا طــار وقــع

واما قولها : حكمت فقسطت ، تقصد به قوله تعــالى : (واما القاسطــون فكانــوا لجهنــم حطبا) (٢) ٠

---

(١) الانعام ٤٤ ٠٠ (٢) الجن ١٥ ٠٠

ثم التفت الى المـرأة واستقرها ؟ فأقرت ٠ فقال : وما ذنبي اليك ؟ قالت : انك قتلت اهلي وقومي ، فقال : ومن هم اهلك وقومك ؟ فقالت : بنو برمك ٠ قال اما الرجال ففاتوا ، واراد ان يجزيها ببعض العطايا فلم ترضى ، وذهبت في حال سبيلها ٠

سئل ظريف : ما هو حظك في الدنيا ، فقال :

ان حظـــي كـــدقيـــق
بـي شـوك بـــذوره

ثــم قــالــوا لحفــاة
هــي قومــي فاجمعــوه

صعــب الامـــر عليهــم
قــال قـــوم اتركـــوه

ان مــن اشقــاه ربــي
كــيف انتـــم تستعــدوه

وذكروا ان المهلبي الوزير كان قبل اتصـاله بمعز الدولة بن بويه في شدة عظيمة من الضرورة والفاقة ، واتفق ـ في بعض تجولاته ـ ان اشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال :

الا مــوت يبـــاع فأشتريـــه
فهــذا العيش مما لا خير فيه

الا مــوت لذيــذ الطعــم يأتي
يخلصني من العيش الكريـــه

اذا ابصرت قبـــرا من بعيــد
وددت لــو اننــي فيما يليـــه

الا رحـــم المهيمن نفس حــر
تصدق بالوفـــاة على اخيـــه

وكان له رفيق يقال له ابو عبد الله الصوفي ، وقيل ابو الحسن العسقلاني ، فلما سمع الابيات اشترى لحما بدرهم ، وطبخه واطعمه ٠ وتفارقا ٠ وتحولت الاحوال ، وولي المهلبي الوزارة ببغداد لمعز الدولة ، واتفــق ان ضاق الحال برفيقه ـ الذي اشترى له اللحم ـ وبلغه وزارة المهلبي ، فقصده ، وكتب اليه :

الاقـــل للوزيــر فدتــه نفسي
مقال مذكــر ما قــد نسميـــه

اتذكــر حين قلت لضيق عيش
الا مــوت يبـــاع فاشتريـــه

فلما وقف عليها تذكر الحال ، وهزته اريحية

الكرم ، فأمـر له بسبعمائة درهم ، ووقع له في رقعة : (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ٠٠ الآية) (١) ٠ ثم دعاه ، وقلده عمـلا يرتزق منه ٠

وفي مستدرك الوسائل عن ضوء الشهاب : انه كان في ايام موسى الهادي ـ ببغداد ـ رجل من اهل النعمة ، وكان له جار في دون حاله ، وكان يحسده ، ويسعى بكل مكروه يمكنه ، ولا يقدر عليه ٠

قال : فلما طال عليه امره ، وجعلت الايام لا تزيده الا غيظا ، اشترى غلاما صغيرا ، فرباه واحسن اليه ، فلما شب الغلام واشتـد وقوي عصبه قال له مولاه : يا بني اني اريدك لأمر من الامور جسيم ، فليت شعري كيف لي انت عنـد ذلك ، قال : كيف يكون العبد لمولاه والمنعم عليه المحسن اليه ، والله يا مولاي لو علمت ان رضاك في ان اتقحم في النار لرميت نفسي فيها ، ولو علمت ان رضاك في ان اغرق نفسي في لجة البحر

---

(١) البقرة ٢٦٢ ٠٠

لفعلت ذلك ، وعدد عليه اشياء فسر بذلك من قوله ، وضمه الى صدره ، واكب عليه يترشفه ويقبله ، وقال : ارجوان تكون ممن يصلح لما اريد ؟ قال : يا مولاي ان رأيت ان تمن على عبدك فتخبره بعزمك هذا ، ليعرفه ، ويضم عليه واخاف ان لا يمكنك ، وان امكنك احالوا ذلك جوانحه ، قال : لم يان لذلك بعد ، واذا كان فأنت موضع سري ، ومستودع امانتي ، فتركه سنة ، فدعاه ، فقال : اي بني قد اردتك للامر الذي كنت ارشحك له ، قال له : يا مولاي امرني بما شئت ، فوالله لا يزيدني في الايام الا طاعة لك ، قال : ان جاري فلانا قد بلغ مني مبلغا احب ان اقتله ؟ قال : فأنا افتك به الساعة ، قال لا اريد هذا ، ولكني دبرت ان تقتلني انت ، وتطرحني على سطحه فيؤخذ ويقتل بي ، فقال له الغلام : اتطيب نفسك بنفسك ، وما في ذلك تشف من عدوك ، وايضا فهل تطيب نفسي بقتلك ، وانت ابر من الوالد الحدب والام الرفيقة ، قال : دع عنك هذا ، فانما كنت اربيك لهذا ، فلا تنقض علي امري ، فانه لا راحة لي الا في هذا ، قال : الله الله في نفسك يا مولا ي ، وان تتلفها للامر الذي لا تدري ايكون ام لا ، وان كان لم تر منه ما املت

وأنت ميت ، قال : اراك لي عاصيا ، وما ارضى حتى تفعل ما اهوى ، قال : اما اذا صح عزمك على هذا فشأنك وما هويت ، لأصير اليه بالكره لا بالرضا • فشكوه على ذلك ، وعمد الى سكين فشحذها ، ودفعها اليه ، واشهد على نفسه انه دبره ، ودفع اليه ـ من ثلث ماله ـ ثلاثة آلاف درهم ، وقال : اذا فعلت ذلك فخذ في اي بلاد الله شئت • فعزم الغلام على طاعة المولى بعد التمنع والالتواء • فلما كان آخر ليلة من عمره قال : تأهب لما امرتك به ، فاني موقظك في آخر الليل ، فلما كان في وجه السحر قام وايقظ الغلام ، فقام مذعورا ، واعطاه المدية ، فجاء حتى تسور حائط جاره برفق ، فاضطجع على سطحه واستقبل القبلة ببدنه وقال للغلام : ها ، وعجل ، فترك السكين على حلقه وفرى اوداجه ، ورجع الى مضجعه وخلاه يتشحط بدمه ، فلما اصبح اهله خفي عليهم خبره ، فلما كان آخر النهار اصابوه على سطح جاره مقتولا ، فأخذ جاره ، واحضروا وجوه المحلة لينظروا الى الصورة ، ورفعوه وحبسوه ، وكتبوا بخبره الى الهادي ، فأحضره ، فأنكر ان يكون له علم بذلك ،

وكان الرجل من اهل الصلاح ، فأمـر بحبسه ، ومضى الغلام الى اصبهان ، وكان هنـاك من اولياء المحبوس وقرابته ، وكان يتولى العطـاء للجند بأصبهان ، فرأى الغلام وكان به عارفا ، فسأله عن امر مولاه ـ وكان قد وقع الخبر اليه ـ فأخبره الغلام حرفا حرفا ، فأشهد على مقالتـه جماعة وحمله الى مدينة السلام ، وبلغ الخبر الهادي ، فأحضر الغلام ، فقص امره كله عليه ، فتعجب الهادي من ذلك وامـــر باطلاق الرجـل المحبوس واطلاق الغلام ايضا · انتهى ·

وفي البحار : ان امير المؤمنين عليه السلام خطب في يوم جمعة خطبة بليغة فقال في آخرها : ايها الناس سبع مصائب عظام نعوذ بالله منها : عالم زل ، وعابد مل ، ومؤمن خل ، ومؤتمن غل ، وغني اقل ، وعزيز ذل ، وفقير اعتل ·

فقام اليه رجل فقال : صدقت يا امير المؤمنين انت القبلة اذا ما ضللنا ، والنور اذا ما اظلمنا ، ولكن نسألك عن قول الله تعالى (ادعوني استجب لكم) (١) فما بالنا ندعو فلا يجاب ؟ قال : ان قلوبكم خانت بثمان خصال : اولها ـ انكم عرفتم

(١) غافر ٦١ ··

شيئا ٠ والثانية ـ انكم أمنتم بالله ورسوله ثم خالفتم سنته وامتم شريعته ، فأين ثمرة ايمانكم ٠ والثالثة ـ انكم قرأتم كتابه المنزل عليكم فلم تعلموا به ، وقلتم سمعنا واطعنا ، ثم خالفتم ٠ والرابعة ـ انكم قلتم انكم تخافون من النار ، وانتم في كل وقت تقدمون اليها معاصيكم ، فأين خوفكم ٠ والخامسة ـ انكم قلتم انكم ترغبون في الجنة ، وانتم في كل وقت تفعلون ما يباعدكم عنها ، فأين رغبتكم فيها ٠ والسادسة ـ انكم اكلتم نعمة المولى ولم تشكروا عليها ٠ والسابعة ـ ان الله امركم بعداوة الشيطان وقال : (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) (٢) فعاديتموه بالقول ، وواليتموه بالمخالفة ٠ والثامنة ـ انكم جعلتم عيوب الناس نصب عيونكم ، وعيوبكم وراء ظهوركم ، تلومون من انتم احق باللوم منه ، فأي دعاء يستجاب لكم مع هذا ، وقد سددتم ابوابه وطرقه ؟ فاتقوا الله واصلحوا اعمالكم ، واخلصوا سرائركم ، وامروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، فيستجيب لكم دعاءكم ٠

---

(٢) فاطر ٧ ٠٠

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام :

احفظ ابواب الدعاء ، وانظر من تدعو ، وكيف تدعو ، ولماذا تدعوه · وحقق عظمة الله وكبريائه · وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك ، واطلاعه على سرك ، وما تكون فيه من الحق والباطل · واعرف طرق نجاتك وهلاكك ؟ كيلا تدعو الله بشيء وعسى ان يكون فيه هلاكك وانت تظن فيه نجاتك · قال الله عز وجل : (ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) (١) وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل ، والدعاء : استجابة الكل منك للحق ، وتذويب المهجة في مشاهدة الرب ، وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ـ ظاهرها وباطنها ـ الى الله عز وجل · فان لم تأت بشرف الدعاء فلا تنتظر الاجابة ؟ فانه يعلم السر واخفى ، فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك ·

قال بعض الصحابة : لبعض : انتم تنتظرون المطر بالدعاء وانا انتظر الحجر ·· واعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا اذا اخلصنا

(١) الاسراء ١٢ ··

الدعاء تفضل علينا بالاجابة ؟ فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرايط الدعاء ٠

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عم اسم الله الاعظم ، فقال : كل اسم من اسماء الله اعظم ٠

ففرغ قلبك كل ما سواه وادعــه بأي اسم شئت ، فليس ـ في الحقيقة ـ لله اسم دون اسم ، بل هو الله الواحد القهار ٠ وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه ٠٠ فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء واخلصت سرك لوجهــه ؟ فأبشر باحدى ثلاث : اما ان يعجل لك ما سألت ، واما ان يدخر لك ما هو افضل منه ، واما ان يصرف عنك من البلاء ما لو ارسله عليك لهلكت ٠

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله تعالى : من شغله ذكرى عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ٠

قال الصادق عليه السلام : لقد دعوت الله مرة فاستجاب لي ونسيت الحاجة ٠ لان استجابته باقباله على عبده عند دعوتــه اعظم واجل مما يريد منــه العبــد ، ولو كانت الجنــة ونعيمها الا بدي ، ولكن لا يفعل ذلك الا العالمون المحبون

العابدون العارفون صفوة الله وخاصته ·

وفي المستدرك عن التمحيص لابي علي محمد همام · روى ان رسول الله عليه وآله وسلم قال : لا يكمل المؤمن ايمانه حتى يحتوي على مائة وثلاث خصال : فعل ، وعمل ، ونية ، وظاهر ، وباطن · فقال امير المؤمنين عليه السلام · يا رسول الله ما يكون المائة وثلاث خصال ، فقال : يا علي من صفات المؤمن ان يكون : جوال الفكر ، جوهري الذكر ، كثيرا علمه ، عظيما حلمه ، جميل المنازعة ، كريم المراجعة ، اوسع الناس صدرا ، واذلهم نفسا ، ضحكه تبسما ، وافهامه تعلما ، مذكر الغافل ، معلم الجاهل ، لا يؤذي من يؤذيه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر احدا بغيبة ، بريئا من المحرمات ، واقفا عند الشبهات ، كثير العطاء ، قليل الاذى ، عونا للغريب ، وابا لليتيم ، بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، مستبشرا بفقره ، احلى من الشهد ، واصلد من الصلد ، لا يكشف سرا ، ولا يهتك سترا ، لطيف الحركات ، حلو المشاهدة ، كثير العبادة ، حسن الوقار ، لين الجانب ، طويل الصمت حليما اذا جهل عليه ، صبورا على من اساء اليه ، يجل الكبير ، ويرحم الصغير ، امينا على الامانات ، بعيدا عن الخيانات ، الفه التقى ، وحلفه الحياء ، كثير الحذر ، قليل الزلل ، حركاته ادب ، وكلامه

عجب ، يقيل العثرة ، ولا يتبع العورة ، وقورا ، صبورا ، رضيا ، شكورا ، قليل الكلام ، صدوق اللسان ، برا ، مصونا ، حليما ، رفيقا ، عفيفا ، شريفا ، لا لعان ولا نمام ، ولا كذاب ، ولا مغتاب ، ولا سباب ، ولا حسود ، ولا بخيل ، هشاشا بشاشا ، لا حساس ، ولا جساس ، يطلب من الامور اعلاها ، ومن الاخلاق اسناها ، مشمولا بحفظ الله ، مؤيدا بتوفيق الله ، ذا قوة في لين ، وعزمة في يقين ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، صبور في الشدائد ، لا يجور ولا يعتدي ، ولا يأتي بما يشتهي ، الفقر شعاره ، والصبر دثاره قليل المؤنة ، كثير المعونة ، كثير الصيام ، طويل القيام ، قليل المنام ، قلبه تقي ، وعلمه زكي ، اذا قدر عفا ، واذا وعد وفى ، يصوم رغبا ، ويصلي رهبا ، ويحسن في عمله كأنه ناظر اليه ، غض الطرف ، سخي الكف ، لا يرد سائلا ، ولا يبخل بنائل ، متواصلا الى الاخوان ، مترادفا الى الاحسان ، يزن كلامه ، ويخرس لسانه ، لا يغرق في بغضه ، ولا يهلك في حبه ، لا يقبل الباطل من صديقه ، ولا يرد الحق من عدوه ، لا يتعلم الا ليعلم ، ولا يعلم الا ليعمل ، قليلا حقده ، كثيرا شكره ، يطلب النهار معيشته ، ويبكي الليل على خطيئته ، ان سلك مع اهل الدنيا كان أكيسهم ، وان سلك مع اهل الآخرة كان

اورعهم ، لا يرضى في كسبه بشبهة ، ولا يعمل في دينه برخصة ، يعطف على اخيه بزلته ، ويرضى ما مضى من قديم صحبته ٠

وفي تحف العقول قال موسى بن محمد بن الرضا : لقيت يحيى بن اكثم في دار العامة ، فسألني عن مسائل ، فجئت الى اخي علي بن محمد عليهما السلام ، فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته ، فقلت له : جعلت فداك ان ابن اكثم كتب يسألني عن مسائل لافتيه فيها ، فضحك عليه السلام ثم قال : فهل افتيته ؟ قلت : لا ، لم اعرفها ، قال عليه السلام : وما هي ، قلت : كتب يسألني عن قول الله : (قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) (١) نبي الله كان محتاجا الى علم آصف ٠٠ وعن قوله : (ورفع ابويه على العرش وخر واله سجدا) (٢) سجد يعقوب وولده ليوسف وهم انبياء ٠٠ وعن قوله : (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب) (٣) من المخاطب بالآية ، فان كان المخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد شك ، وان كان المخاطب غيره فعلى من اذن انزل الكتاب ٠ وعن قوله : (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر

---

(١) النمل ٤١ ٠٠ (٢) يوسف ١٠١ ٠٠ (٣) يونس ٩٤ ٠٠

يمــده من بعــده سبعة ابحــر ما نفذت كلمات الله) (١) ما هذه الا بحــر واين هي ٠٠ وعن قوله : (وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين) (٢) فاشتهيت نفس آدم عليه السلام البر فأكل واطعم (وفيها تشتهي الانفس) فكيف عوقب ٠٠ وعن قوله : (او يزوجهم ذكرانا واناثا) (٣) يــزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوما فعلوا ذلك ٠٠ وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله : (واشهدوا ذوي عدل منكم) (٤) ٠٠ وعن الخنثى وقول علي عليه السلام : يورث من المبال ، فمن ينظر اذ أبال اليه ، مع انه عسى ان يكون امرأة وقد نظر اليها الرجال ، او عسى ان يكون رجلا وقد نظرت اليه النساء ، وهــذا ما لا يحــل ٠٠ وشهادة الجار الى نفسه لا تقبل ٠٠ ورجل اتى الى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها ، فلما بصر بصاحبها خلــى سبيلها ، فدخلت بين الغنم ، كيف تذبح ، وهل يجوز اكلها ام لا ٠٠ وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار ، وانما يجهر في صلاة الليل ٠٠ وعن قول علي عليه السلام : الى ابن جرموز : بشر قاتل صفية بالنار ، فلم يقتله وهو امام ٠٠ واخبرني عن علي عليه السلام لم قتل اهل صفين

---

(١) لقمان ٢٧ ٠٠ (٢) الزخرف ٧٠ ٠٠ (٣) شورى ٥٠ ٠٠
(٤) الطلاق ٢ ٠٠

وامر بذلك مقبلين ومدبرين واجاز على الجرحى ، وكان حكمه يوم الجمل انه لم يقتل موليا ولم يجزو على جريح ولم يأمر بذلك ، وقال : من دخل داره فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو امن ، لم فعل ذلك ، فان كان الحكم الاول صوابا فالثاني خطأ ٠٠ واخبرني عن رجل اقر باللواط على نفسه ايحد ، ام يدرأ عنه الحد ٠

قال عليه السلام : اكتب اليه ؟ قلت : وما اكتب ، قال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ٠ وانت فألهمك الله الرشد ، اتاني كتابك ، فامتحنتنا به من تعنتك ، لتجد الى الطعن سبيلا ان قصرنا فيها ٠ والله يكافيك على نيتك ، وقد شرحنا مسائلك ، فاصغ اليها سمعك وذلل لها فهمك واشغل بها قلبك ، فقد لزمتك الحجة والسلام ٠

سألت : عن قول الله عز وجل : قال الذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا ، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف ، لكنه صلوات الله عليه احب ان يعرف امته من الجن والانس انه الحجة من بعده ، وذلك من علم سليمان عليه السلام اودعه عند آصف بأمر الله ، ففهمه ذلك لئلا يختلف عليه في امامته ودلالته ، كما فهم سليمان في حياة داود عليهما السلام لتعرف نبوته وامامته من بعده لتأكيد

الحجة على الخلق ·

واما سجود يعقوب عليه السلام وولده : كان طاعية لله ومحبة ليوسف عليه السلام ، كما ان السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم ، وانما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام ؟ فسجود يعقوب عليه السلام وولده يوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم ، الم تره يقول في شكره في ذلك الوقت : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث ـ الى آخر الآية ـ) (١) ·

واما قوله : (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون) فان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكن في شك مما انزلنا اليه ، ولكن قالت الجهلة : كيف لم يبعث الله نبيا من الملائكة ، اذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب ، والمشي في الاسواق ، فأوحى الله الى نبيه : (فاسأل الذين يقرأون الكتاب) بمحضر الجهلة ، هل بعث الله رسولا قبلك الا وهو يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ؟ ولك بهم اسوة · وانما قال : (فان كنت في شك) ولم يكن شك ولكن للنصفة ، كما قال ، (تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (٢) ولو قال : (عليكم) لم

---

(١) يوسف ١٠١ ·· (٢) آل عمران ٦١ ··

يجيبوا الى المباهلة ، وقد علم الله ان نبيه يؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين ، فكذلك عرف النبي انه صادق فيما يقول ، ولكن احب ان ينصف من نفسه •

واما قوله : (ولو ان ما في الارض ممن شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) فهو كذلك ، لو ان اشجار الدنيا اقلام والبحر يمده سبعة ابحر وانفجرت الارض عيونا لنفدت قبل ان تنفد كلمات الله • وهي عين الكبريت ، وعين النمر ، وعين برهوت ، وعين طبريه ، وحمة ماسبندان ، وحمة افريقية ، تدعى لسان ، وعين بحرون ، ونحن كلمات التي لا تنفد ولا تدرك فضائلنا •

واما الجنة : فان فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ، واباح الله ذلك كله لآدم عليه السلام : والشجرة التي نهى الله عنها آدم عليه السلام وزوجته ان يأكلا منها : شجرة الحسد ، عهد اليهما ان لا ينظرا الى من فضل الله عليهما وعلى خلائقه بعين الحسد ؟ فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزما ••

واما قوله : (اويزوجهم ذكرانا واناثا) اي يولد له ذكور ويولد له اناث ، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد منهما زوج ، ومعاذ الله

ان يكون عنى الجليل ما لبستعلى نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم ، (ومن يفعل ذلك يلق اثاما ؟ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) (١) ان لم يتب ٠

واما شهادة المرأة وحدها التي جازت : فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا ، فان لم يكن رضا فلا اقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة ، لان الرجل لا يمكنه ان يقوم مقامها ، فان كانت واحدة قبل قولها مع يمينها ٠

واما قول علي عليه السلام في الخنثى فهي كما قال : ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة ، وتقوم الخنثى خلفهم عريانة ، وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه ٠

واما الرجل الناظر الى الراعي وقد نزا على شاة : فان عرفها ذبحها واحرقها ، وان لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما ، فاذا وقع على احد النصفين فقد نجا النصف الآخر ، فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما ؟ فأيتها وقع السهم بها ذبحت واحرقت ، ونجا سائر الغنم ٠

واما صلاة الفجر : فالجهر فيها بالقراءة ، لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يغلس بها ، فقراءتها من الليل ٠

واما قول علي عليه السلام : بشر قاتل ابن

صفية بالنار ، فهو لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله امير المؤمنين عليه السلام بالبصرة ، لانه علم انه يقتل في فتنة النهروان ٠

واما قولك : ان عليا عليه السلام قتل اهل صفين مقبلين ومدبرين واجاز على جريحهم ، وانه يوم الجمل لم يتبع موليا ولم يجز على جريح ، ومن ألقى سلاحه آمنه ، ومن دخل داره امنة :

فان اهل الجمل قتل امامهم ، ولم تكن لهم فئة يرجعون اليها ، وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين ، رضوا بالكف عنهم ، فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن اذاهم ، اذ لم يطلبوا عليه اعوانا ٠

واهل صفين كانوا يرجعون الى فئة مستعدة ، وامام يجمع لهم السلاح الدروع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء ، يهيء لهم الانزال ، ويعود مريضهم ، ويجبر كسيرهم ، ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ، ويردهم فيرجعون الى محاربتهم وقتالهم ، فلم يساو بين الفريقين في الحكم ؟ لما عرف من الحكم قتال اهل التوحيد ، لكنه شرح ذلك لهم ، فمن رغب في القتال عرض على السيف او يتوب من ذلك ٠

واما الرجل الذي اعترف باللواط : فانه لم تقم عليه بينة ، وانما تطوع بالاقرار من نفسه ، واذا كان للامام الذي من الله ان يعاقب عن الله كان له يمن عن الله ، اما سمعت قول الله : (هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب) (١) .

قد انباناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك .

ولنختم كتابنا بدعاء مأثور عن الامامين الباقرين الصادقين صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آبائهما وابنائهما ورحمة الله وبركاته . والدعاء هو :

اللهم صل على محمد وآل محمد واغفر لي ، وارحمني ، وزك عملي ، ويسر منقلبي ، واهد قلبي ، وآمن خوفي ، وعافني في عمري كله ، وثبت حجتي ، واغفر خطاياي ، وبيض وجهي ، واعصمني في ديني ، وسهل مطلبي ، ووسع علي في رزقي ، فاني ضعيف ، وتجاوز عن سيء ما عندي بحسن ما عندك ، ولا تفجعني بنفسي ، ولا تفجع لي حميما ، وهب لي يا الهي لحظة من لحظاتك ، تكشف بها عني جميع ما به ابتليتني ، وترد بها عني ما هو احسن هباتك عندي ، فقد ضعفت قوتي وقلت حيلتي ، وانقطع من مخافتك رجائي ولم يبق الا رجاؤك وتوكلي عليك ، وقدرتك

---

(١) ص ٣٩ ..

يا رب ان ترحمني وتعافني كقدرتك علي ان تعذبني وتبتلنــــي ٠

الهي ذكــر عوائدك يؤنسنـــي ، والرجـــاء لأنعامك يقويني ، ولم اخل من نعمك منذ خلقتني ، وانت ربي ، وسيــدي ، ومفزعــي ، وملجئي ، والحــافظ لي ، والذاب عنــي ، والرحيــم بي ، والمتكفل برزقي ، وفي قضائك وقدرتك كل ما انا فيه ، فليكــن يا سيدي ومــولاي ــ فيما قضيت وقدرت لي ، فانني لا اجد لدفع ذلك احدا غيرك ، ولا اعتمد فيه الا عليك ، فكن يا ذا الجلال والاكرام عند احسن ظني بك ورجائي لك ، وارحم تضرعي واستكانتي وضعف ركني وامنن بذلك علي وعلى كل داع دعاك يا ارحم الراحمين ، وصلى اللــه على محمد وآله ٠

مؤسسة
مطابع معتوق